حرمة المسلم على المسلم

تأليف

الدكتور ماهر ياسين الفحل

1426هـ 2006م

e

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد :

فإنَّ واجب الدعوة إلى الله من أولى الواجبات ، ومن أفرض الطاعات ، وقد قال الله تعالى : **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** [فصلت : 33] . فوجب على كل مسلم أن يقوم بهذا الواجب الديني اتجاه المجتمع وقد قال تعالى : **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** [يوسف : 108] .

فشمرت عن ساعد الجد لأكتب عن أهم ما يدور في ساحة بلدنا الجريح ، وهو التساهل في حرمة المسلم فكتبت في هذا ما بين يديك أخي المسلم الكريم ، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأنْ ينفعني به يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتب
د . ماهر ياسين الفحل
شيخ دار الحديث في العراق
maher_fahl@hotmail.com

الغيـبة :

احذر أخي المسلم من الغيبة ، قال النووي في رياض الصـــالحين بـــاب تحريـــم الغيبـــة : ((**ينبغي لكل مكلف أنْ يحفـظ لسـانه عـن جميـع الكلام إلا كلامـاً ظهـرت فيـه المصـلحة ، ومـتى اسـتوى الكلام وتركـه فـي المصـلحة ، فالسـنة الإمساك عنه ؛ لأنَّه قـد ينجـرّ الكلام المبـاح إلـى حــرام أو مكــروه ، وذلــك كــثير فــي العــادة ، والسلامة لا يعدلها شيء**))() .

والغيبة خصـلة ذميمـة لا تصـدر إلا عـن نفـس دنيئـة ، وهي كما عرّفها النبي بقوله : ((**ذِكركَ أخاك بما يكــرهُ**))[1]، وهي محرمة بل هي كبيرة من الكبائر وقد ذمها اللــه سبحانه وتعالى بالقرآن العظيم فقـال : **يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْـمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** [الحجـرات : 12] ، ولا تقتصـر علـى الكلام باللسان ، وإنمـا كـل حركـة أو إشـارة أو إيمـاءة أو تمثيل أو كتابة في الصحف أو على الإنترنت ، أو أي شيءٍ يفهم منه تنقص الطرف الآخر ؛ فكل ذلك حرام داخل في معنى الغيبة ، والإثـم يـزداد بحسـب الملأ وكـثرتهم الـذين يذكر فيهم المغتاب [2].

واعلم أخي المسـلم : أنَّ الغيبـة خسـارة كـبيرة فـي حسنات العبد ؛ فالمغتـاب يخسـر حسـناته ويعطيهـا رغمـاً عنه إلى من يغتابه ، وهي في نفس الـوقت ربـح للطـرف الآخر ؛ حيث يحصل على حسنات تثقـل كفتـه جـاءته مـن

() رياض الصالحين : 543 . رياض الصالحين من الكتب المهمة جداً فيه جميع ما يحتاجه المسلم في عباداته وحياته اليومية ؛ فينبغي لكل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب مراراً وتكراراً ، ويثقف عائلته بأحاديث هذا الكتاب ، ففي ذلك سعادة الدنيا والآخرة .

[1]() أخرجه : مسلم 8/21 (2589) (70) من حديث أبي هريرة .

[2]() المغتاب : اسم فاعل ومفعول يدل على الذي يقوم بغيبة الناس ، ويدل على الذي تقع عليه الغيبة .

حيث لا يدري ؛ لذا قال عبد الله بن المبارك - وهو أحد أمراء المؤمنين في الحديث - : ((**لو كنت مغتاباً لاغتبت أمي فإنها أحق بحسناتي**))[1] .

تأمل أخي المسلم في قول النَّبيِّ في حجة الوداع فيما رواه عبد الرحمان بن أبي بكرة ، عن أبيه : أنه ذكر النَّبيَّ قعد على بعيره ، وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه ، قال : ((**أي يوم هذا** ؟)) فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : ((**أليس يوم النحر** ؟)) قلنا : بلى ، قال : ((**فأيُّ شهر هذا** ؟)) فسكتنا حتى ظننا أنَّه سيسميه بغير اسمه فقال : ((**أليس بذي الحجة** ؟)) قلنا : بلى ، قال : ((**فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب فإنَّ الشاهد عسى أنْ يبلغ مَن هو أوعى له منه**))[2] .

والذي يتأمل هذا الحديث يعلم حرمة الغيبة ، وأنَّها كحرمة يوم النحر في شهر ذي الحجة في الحرم المكي .

ولنتدبر جميعاً قول النَّبيِّ حينما قال : ((**لما عُرِجَ بي ، مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : مَن هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم**))[3] فالمسلم الذي يحرص على نفسه يتأمل في هذا الحديث ليعلم أنَّ المغتابين يخمشون وجوههم وصدورهم بأظفار من نحاس ، وهي أظفار فاقت أظفار الوحوش الضارية ليزدادوا عذاباً جزاءً وفاقاً على أفعالهم القبيحة ، وأعمالهم السيئة .

---

[1] فيض القدير 3/166 للمناوي .
[2] أخرجه : البخاري 1/26 (67) ، ومسلم 5/108 (1679) (30) .
[3] أخرجه : أحمد 3/224 ، وأبو داود (4878) و(4879) ، والضياء المقدسي في المختارة (2285) و(2286) من حديث أنس بن مالك .

ومن الغيبة أنْ تذكر أخاك المسلم بأي شيء يكرهه حتى وإنْ لم تكن تقصد ذلك فقد صحّ أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنَّبيِّ : حَسْبُكَ من صفية كذا وكذا - قال غير مسدد تعني قصيرة - فقال : ((**لقد قُلْتِ كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته**)) قالت : وحكيتُ له إنساناً فقال :((**ما أحب أني حكيتُ إنساناً وأن لي كذا وكذا**))[1].

والغيبة داءٌ فتّاكٌ ومِعْوَلٌ هدّام يفتك في بنيان المجتمع ، وهو أسرع إفساداً في المجتمع من الآكلة [2] في الجسد ، والغيبة تُعرِّض العلاقات للانهيار وتزعزع الثقة بين الناس وتغيّر الموازين وتقلع المحبة والألفة والنصرة من بين المؤمنين ، وتثبت جذور الشر والفساد بين الناس ، وقد بيّن الحسن البصري رحمه الله أجناس الغيبة وحدودها فقال : ((الغيبة ثلاثة أوجه ، كلها في كتاب الله تعالى : الغيبة ، والإفك ، والبهتان ، فأما الغيبة : فهو أنْ تقول في أخيك ما هو فيه ، وأما الإفك فأنْ تقول فيه ما بلغك عنه ، وأما البهتان : فأنْ تقول فيه ما ليس فيه))[3] .

ورُوي من حديث أبي هريرة يقول : جاء الأسلميُّ نبيَّ الله فشهد على نفسه أنَّه أصاب امرأةً حراماً - أربع مرات - كل ذلك يُعرِضُ عنه النَّبيُّ فأقبل في الخامسة فقال : ((**أَنِكْتَهَا** ؟)) قال : نعم قال : ((**حتى غاب ذلك منك في ذلك منها**)) قال : نعم قال : ((**كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر** ؟)) قال : نعم قال : ((**فهل تدري ما الزنا** ؟)) قال : نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً قال : ((**فما تريد بهذا القول** ؟)) قال : أريد أنْ تطهرني فأمر به فَرُجِم فسمع النَّبيُّ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذي سَتر الله عليه فلم تَدَعْهُ نفسه حتى رُجِمَ رجمَ الكلب فسكت عنهما ، ثم سار ساعة حتى مَرَّ بجيفة حمار شائلٍ برجله فقال : ((**أين**

---

[1] أخرجه أبو داود (4875) .

[2] أي : السرطان نسأل الله السلامة والعافية .

[3] تفسير القرطبي 16 / 335 .

فلان وفلان ؟)) فقالا : نحن ذان يا رسول الله ، قال : ((**انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار**)) فقالا : يا نبي الله ، مَنْ يأكل من هذا ؟ قال : ((**فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها**))[1] .

ومن أعظم ما ورد في الزجر عن الغيبة قوله تعالى : **وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** [الحجرات : 12] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : ((**وقد ورد فيها** (**يعني : الغيبة**) **الزجر الأكبر ، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال :** ((**أيحب أحدكم أنْ يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**)) **، أي : كما تكرهون هذا طبعاً فاكرهوا ذاك شرعاً ؛ فإنَّ عقوبته أشد من هذا**))[2] .

أخي المسلم الكريم لقد صوّرَ اللهُ الإنسانَ الذي يغتاب إخوانه المسلمين بأبشع صورة فمثّله بمن يأكل لحم أخيه ميتاً ، ويكفي قبحاً أنْ يجلس الإنسان على جيفة أخيه المسلم يقطع من لحمه ويأكل .

والغيبة من كبائر الذنوب ، وهي محرمة بالإجماع قال القرطبي : ((**لا خلاف أنَّ الغيبة من الكبائر ، وأنَّ من اغتاب أحداً عليه أنْ يتوب إلى الله**))[3] .

والغيبة مرض خطير ، وشر مستطير يفتك الأمة ويبث العداوة والبغضاء بين أفرادها ، وهذا المرض لا يكاد يسلم منه أحد إلا من رحم الله .

---

[1] أخرجه : البخاري في " الأدب المفرد " (737) ، وأبو داود (4428) ، والنسائي في " الكبرى " (7164) و(7165) .
[2] تفسير ابن كثير : 1750 .
[3] تفسير القرطبي 16 / 337 .

ومرض الغيبة عضال ، كم أحدث من فتنة ، وكم أثار من ضغينة ، وكم فرّق بين أحبة وشتت بيوتاً .

والغيبة فاكهة أهل المجالس الخبيثة ، وغيبة أهل العلم والصلاح أشد قبحاً وأعظم ظلماً ؛ فلحومهم مسمومة ، وسنة الله في عقوبة منتقصيهم معلومة .

ولعل من أسباب الغيبة الحسد ، الذي يحصل لكثير من الذين ابتعدوا عن مراقبة الله ، فتجد الكثيرين يغتابون آخرين حسداً من عند أنفسهم ؛ لأنَّ أخاهم حصل على ما لم يحصلوا عليه .

ومن أسباب الغيبة المجاملة والمداهنة على حساب الدين ؛ فتجد الرجل يغتاب أخاه المسلم ؛ موافقة لجلسائه وأصحابه .

ومن أسباب الغيبة الكبر واستحقار الآخرين ؛ لأنَّه يثقل عليه أنْ يرتفع عليه غيره فيقدح بهم في المجالس ؛ لإلصاق العيب بهم ، وقد قال النَّبيُّ : ((**الكبر بطر الحق وغمط الناس**)) [1].

ومن أسباب الغيبة السخرية والتنقص من الآخرين ، فإنَّ بعض الناس يغتاب إخوانه المسلمين عن طريق السخرية ، وغيرها من الأسباب والدسائس التي يوحيها الشيطان في صاحب الغيبة في قوالب شتى .

وللغيبة أضرار عظيمة على الفرد والمجتمع ، ومن أضرارها أنَّها تُعرِّض صاحبها للافتضاح ، فكلما فضحَ الإنسانُ غيرَه فإنَّ الله يفضحه ؛ إذ الجزاء من جنس العمل ، وقد قال النَّبيُّ : ((**يا معشر مَن آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمينَ ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنَّه من يتَّبع عوراتهم يتبع اللهُ عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**))[2] .

---

[1] جزء من حديث عبد الله بن مسعود الذي أخرجه مسلم في صحيحه 1/64 (91) (147) .

[2] حديث صحيح أخرجه : أحمد 4/420 ، وأبو داود (4880) ، وأبو يعلى (7424) من حديث أبي برزة الأسلمي .

ومن أضرار الغيبة أنها أذيةٌ لعباد الله تعالى ، ومن آذى عباد الله فقد توعده الله تعالى بعذاب شديد ، قال تعالى : **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** [الأحزاب : 58] .

ومن أضرار الغيبة أيضاً أنها من الظلم والاعتداء على الآخرين ، ومعلوم أنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة ، وأنَّ أثر الظلم سيءٌ ، وعاقبته عاقبةٌ وخيمةٌ قال تعالى : **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ** [إبراهيم : 42] .

وفي الحديث القدسي : ((**يا عبادي ، إني حرّمتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا**))() .

ومن أضرار الغيبة أنها توجب العذاب يوم القيامة ، فهي من المعاصي العظيمة ، ومقترفها يقع في حقين : حق الله ، وحق العبد ، وهو محاسَب على تقصيره بحق الله . فأما حق العبد فهو إما أنْ يتحلله في الدنيا ، أو يعطيه من حسناته أو يحمل من سيئاته إنْ لم يكن له حسنات يعطيه منها ، وهذا هو المفلس كما ورد في الحديث [1].

ومن أضرار الغيبة أنها سبب في تفكيك المجتمع ، وإثارة الفتن وجلب العداوة والبغضاء بين الناس .

وعلى المسلم إذا سمع غيبة المسلم أنْ يتقي الله ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويذب عن عرض

() أخرجه : مسلم 8/16 (2577) من حديث أبي ذر .

1() روى مسلم في صحيحه 8/17 (2581) من حديث أبي هريرة : أنَّ رسول الله قال : ((**أتدرون ما المفلس ؟**)) قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : ((**إنَّ المفلس من أمتي ، يأتي يوم القيامة = = بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مالَ هذا وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أنْ يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح في النار**)) .

أخيه المسلم ويمنع المغتاب من الغيبة ؛ فإنَّ المغتاب والسامع شريكان قال تعالى : **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** [الإسراء : 36] وروي عن النَّبيِّ أنَّه قال : ((**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**))[1] .

تدبر أخي المسلم ، أنا لو رأينا أحداً قائماً على جنازة رجل من المسلمين يأكل لحمه ألسنا نقوم جميعاً ، وننكر عليه ؟! بلى فلماذا لا ننكر على من يغتاب إخواننا المسلمين ، ونذب عن أعراضهم ؟

على كل مسلم أنْ يخاف الله تعالى ، وأنْ يعلم أنَّ الغيبة معصيةٌ لله وظلم على المغتاب فعلى كل مسلم أنْ يتجنب الكلام في أعراض الناس ، وأنْ يعرف أنه إن وجد عيباً في أخيه المسلم فإنَّ فيه عيوباً كثيرة .

فعليك أخي المسلم أنْ تراقب لسانك لتعرف هل أنت واقع في هذا الداء ، فإنْ كنت كذلك فاعلم أنَّ من أهم أسباب التخلص من الغيبة أنْ يحفظ الإنسان لسانه ، فمن أعظم أسباب السلامة حفظ اللسان ، ومن أعظم أبواب الوقاية الصمت في وقته .

ومن أهم أسباب التخلص من الغيبة أن يستشعر العبد أنَّه بهذه الغيبة يتعرض لسخط الله ومقته ، وأنَّ قوله وفعله مسجلٌ عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وعلى المرء أنْ يستحضر دائماً أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد قال تعالى : **مَا يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيهِ رَقيبٌ عَتيدٌ** [ق : 19] .

ومن أسباب الخلاص من الغيبة أنّ يستحضر المغتاب دائماً أنه يهدي غيره من حسناته ؛ لأنَّ الغيبة ظلم ، والظلم يقتص به يوم القيامة للمظلوم من الظالم وقد قال النَّبيُّ : ((**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة**

---

[1] أخرجه : أحمد 6/449 و 450 ، والترمذي (1931) من حديث أبي الدرداء ، وقال الترمذي : ((هذا حديث حسن)) .

بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم ، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا ، أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده ، لأحدهم بمسكنه في الجنة ، أدل بمنزله كان في الدنيا))[1].

فعلى المرء المسلم أنْ يشتغل بإصلاح عيوب نفسه دون الكلام في عيوب الآخرين .

النميمة :

واحذر أخي المسلم من النميمة ، وهي نقل الكلام بين الناس لجهة الإفساد ؛ فيذهب إلى شخص ويقول : قال فيك فلان كذا وكذا ، من أجل الإفساد بينهما وإلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين .

وحقيقة النميمة : إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه .

والنمام : هو من يسعى في قطع الأرحام وقطع ما أمر الله به أنْ يوصل وهو من الذين يفسدون في الأرض قال تعالى : **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** [الشورى : 43] والنمام منهم .

---

[1] أخرجه : البخاري 3/167 (2440) من حديث أبي سعيد الخدري .

وقال : ((**إنَّ من شر الناس مـن يـدعه النـاس اتقاء فحشه**))[1] والنمام منهم .

فاعلم أخي المسلم أنَّ النميمـة مـن كبـائر الـذنوب ، وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع قـال تعـالى : **وَلا تُطِـعْ كُـلَّ حَلاَّفٍ مَهِيـنٍ هَمَّـازٍ مَشَّـاءٍ بِنَمِيــمٍ** . [القلم : 10 - 11] وهي من أسبابٍ عذاب القبر وعذاب النار ، فقـد قـال النَّـبيُّ : ((**لا يدخل الجنَّـة نمـام**))[] ، وروى ابن عباس رضي الله عنهمـا : أنَّ رسـول اللـه مـر بقبرين فقـال : ((**إنَّهما ليعـذبان ، ومـا يعـذبان فـي كبير ، بلى إنَّه كبير : أما أحدهما ، فكـان يمشـي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**))[] .

والنميمــة أذىً للمــؤمنين والمؤمنــات ، وقــد حــرم الإسلام الأذى بشتى أنـواعه ، ومنـه النميمـة . والنمـام ذو وجهين ؛ لأنه يظهر لكـل مـن الفريقيـن غيـر الـوجه الـذي يظهر به للطرف الآخر ، وصاحب الوجهين شر الناس يوم القيامة ، وقد قال النَّـبيُّ : ((**تجدون النـاس معـادن ، خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسـلام ، إذا فقهوا ، وتجدون خيـر النـاس فـي هـذا الشـأن ، أشـدهم كراهيـة لـه ، وتجـدون شـر النـاس ، ذا الوجهين ، الذي يأتي هـؤلاء بـوجه وهـؤلاء بـوجه**))[] **.**

وأخبر النبي أن النمام لا يدخل الجنة وأنه يعذب فــي قبره وقال : ((**ألا أنبئكم ما العَضْهُ**[2] **؟ هـيَ النَمِيمَـةُ القالةُ بين النـاس**))[3] وكـلُ مـن حُمِلَـتْ إليـه النميمـةُ

1() أخرجه : البخاري 8/20 (6054) ، ومسلم 8/21 (2591) (73) من حديث عائشة رضي الله عنها .

() أخرجه : البخاري 8/ 21 (6056) ، ومسلم 1/70 (105) (167) من حديث حذيفة بن اليمان ، ولفظ البخاري : ((**لا يدخل الجنَّة قتات**)) .

() أخرجه : البخاري 1/65 (218) ، ومسلم 1/165 (292) (111) .

() أخرجه : البخاري 4/216 (3493) ومسلم 7/ 181 (2526) و 8/28 (2526) (100) من حديث أبي هريرة .

2() العَضْهُ : كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكي البعض عن البعض . لسان العرب (قول)

3() أخرجه : مسلم 8/28 (2606) (102) من حديث عبد الله بن مسعود .

يجب عليه ستة أمور الأول : أن لا يُصدِّق النمامَ ؛ لأنه فاسق . والثاني : أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح له فعله ، والثالث : أن يبغضه في الله ، والرابع : أن لا تظن بأخيك الغائب السوء ، والخامس : أن لا يحملك ما حُكي على التجسس ، السادس : أن لا ترضى لنفسك ما نَهيتَ النمام عنه ولا تحكي نميمته .

فاحذر أخي المسلم من النميمة فإنَّها من أمراض النفوس ، وهي داء خبيث يسري على الألسن فيهدم الأسر ، ويفرق الأحبة ويقطع الأرحام .

قال الإمام الشافعي : ((**إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه ، فإن ظهرت المصلحة تكلم ، وإن شك لم يتكلم حتى يظهر**)) .

وينبغي على المسلم أنْ يسكت عن كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية .

ثم اعلم أخي المسلم أنَّ البهتان على البريء من أثقل الذنوب ، وويل لمن سعى بوشاية بريءٍ عند صاحب سلطان ونحوه فصدقه ، فربما جنى على بريءٍ بأمر يسوءه وهو منه براء .

وقد حرم الله المشي بالنميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين ورخص في الكذب في الإصلاح بين الناس ، ورغب في الإصلاح بين المسلمين قال تعالى : **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** [الأنفال : 1] . وقال النَّبيُّ : ((**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟** قالوا : بلى يا رسول الله قال : **إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**)) [1].

وقد قال النَّبيُّ أيضاً : ((**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، ويقول خيراً وينمي خيراً**)) [2].

---

1 () أخرجه : أحمد 6/444 ، وأبو داود (4919) ، والترمذي (2509) ، وابن حبان (5092) من حديث أبي الدرداء . وقال الترمذي : ((هذا حديث حسن صحيح)) .

2 () أخرجه : البخاري 3/240 (2692) ، ومسلم 8/28 (2605) من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

أخـي المسـلم : اعلـم أنَّ مَـن نَـمَّ إليـك نَـمَّ عليـك ، والنمام ينبغي أنْ يُنصَـحَ ويُرشَـدَ ، وإلا فَيُـترك ويُبغَـض ولا يُوثَق بقوله ولا بصداقته ، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عـن الكذب والغيبـة والغـدر والخيانـة والغـل والحسـد والنفـاق والإفساد بين الناس والخديعة .

الكـذب :

ومن حرمة المسلم على المسلم أن لا تكذب عليـه **:** والكذب آفةٌ سيئةٌ من آفات اللسان ، وهذه الآفة من أقبح الأمراض النفسية ، إذا لم يسـارع صـاحبها بـالعلاج ، أودى به إلى النار ، وبئس القرار ، قال تعالى : **وَلَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيــــــمٌ بِمَــــــا كَــــــانُوا يَكْــــــذِبُون** . [البقرة : 10] والكذب مـن كبـائر الـذنوب وفيـه أضـرارٌ عظيمـة ، ومـن أضـراره : إحـداث الريبـة عنـد الإنسـان – والريبة هي التهمة والشك – والكذب محـل تهمـة وشـك ، والكـذب يجعـل الإنسـان يقـع فـي خصـلة مـن خصـال المنافقين . والمنافقون في الدرك الأسفل من النـار قـال النَّبيُّ : ((**أربعٌ من كن فيـه كـان منافقـاً خالصـاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة مـن نفاق حـتى يـدعها : إذا أؤتمـن خـان ، وإذا حـدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر**))[1].

[1] أخرجه : البخاري 1/15 (34) ، ومسلم 1/56 (58) (106) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

والكذب يمحق البركة بالبيع والشراء . والكـذب يعـدم الثقة بالناس ، ومن آثار الكذب قلب الحقائق ؛ لأنَّ الكذب يصور الحق باطلاً والباطل حقاً ، ولو لم يكـن فـي الكـذب سوى أنَّه يؤدي إلى النار لكفاه سوءاً ، قال النَّـبيُّ : ((**إنَّ الكـــذب يهـــدي إلى الفجور وإنَّ الفجـور يهـدي إلـى النـار ، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**))[1] .

وإذا وقع المؤمن في شيءٍ من هذه الصفة القبيحـة (الكذب) فعليه أنْ يعمـل علـى التخلـص مـن هـذه الصـفة المذمومة عقلاً وشـرعاً ، ومـن ذلـك أنْ يستحضـر عظمـة الله ويثق بـه ؛ لأنَّ كـثيراً مـن الكـذب سـببه الخـوف مـن أشياء وهمية يصورها الشيطان . وعلى المسـلم أنْ يكـون محسناً الظنَ بالله [2] ويعلم جازمـاً أنْ مـا أصـابه لـم يكـن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصـيبه [3] وبـذلك يعلـم أنَّ مـا كُتِبَ له سيأتيه لا محالةَ وخاصة في أمور الدنيا .

الحـقـد :

ابتعد أخي المسلم كل الابتعاد عن الحقد ؛ فإنَّ الحقد صـفةٌ ذميمـةٌ ذمهـا الإسـلام ، وهـي صـفة تـذمها الفطـرة السليمة ، والحقد : أنْ يلزم قلبك استثقال أخيك المسـلم والبغضة إليه ، والنفار منه وأنْ يدوم ذلك ويبقى .

قال الدكتور مصطفى السـباعي : ((**لا تحقـدْ علـى أحدٍ فالحقد ينال منك أكثر مما ينال من خصومك ويبعد عنك أصدقاءك كمـا يـؤلّب عليـك أعـداءك ،**

---

[1] أخرجه : البخاري 8/30 (6094) ، ومسلم 8/29 (2607) (103) من حديث عبد الله بن مسعود .

[2] روى مسلم في صحيحه 8/165 (2877) من حديث جابر بن عبد الله أنه قال : سمعت النبي قبل وفاته بثلاث يقول : ((**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**)) .

[3] عن أنس بن مالك قال : قال النبي : ((**لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**)) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (247) ، والضياء في المختارة (2197) .

ويكشف من مساوئك ما كان مستوراً ، وينقلك من زمرة العقلاء إلى حثالة السفهاء ، ويجعلك بقلب أسود ووجه مصفر ، وكبد حرّى)) .

ولا تحقد على المسلم حتى لو أساء إليك ، وإذا غلبتك نفسك فعليك بالعلاج ، وعلاج من أساء إليك أنْ تتمعن في قوله تعالى : **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** [آل عمران : 133 -134] .

وعن معاذ بن أنس أنَّ رسول الله ، قال : ((**منْ كظم غيظاً وهو قادر على أنْ ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة ؛ حتى يخيّره منَ الحور العين ما شاء))**[1] .

وقال النبي : ((**ومن كظم غيظهُ ولو شاءَ أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رضىً**)) [(1)].

ومن العلاج : أنْ تعتقد أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى ، وأنَّ هذه الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، وأنَّ هذا العبد ربما كان عند الله أفضل منك كما صح عن النَّبيِّ أنَّه قال : ((**رُبَّ أشعثَ أغبَر مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره))**[2] .

قد جعل الله المحبة الخالصة بين المسلمين من أوثق عرى المحبة في الله ، وقد وثّق الإسلام ذلك بوجوب المحافظة على مال المسلم وعرضه ونفسه ، بأنْ لا يصيبه المسلم بأذى ولا يمسه بسوء .

---

[1] أخرجه : أحمد 3/440 ، وأبو داود (4777) ، وابن ماجه (4186) ، والترمذي (2021) و(2493) من حديث معاذ بن أنس الجهني ، وقال الترمذي : ((هذا حديث حسن غريب)) .

1 () أخرجه : ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (36) عن بعض أصحاب النبي وحسن إسناده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (906) .

[2] أخرجه : مسلم 8 / 36 (2622) (138) من حديث أبي هريرة .

لكن بعض النفوس الخبيثة تبحر في أنهار آسنة لتتشفى في مَن أنعم الله عليهم ، ورزقهم من حطام هذه الدنيا الفانية ، وذلك بالحقد والحسد ليؤتي ذلك الحقد والحسد ثماراً خبيثةً من غيبة ونميمة وحنق واستهزاء . ومجتمعاتنا - وللأسف الشديد - تعُجّ في مثل هؤلاء ، ولو تدبروا كتاب الله جيداً لما وقعوا في ذلك ، قال تعالى : **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدِ آتَينا آلَ إبراهِيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتيناهُمْ مُلكاً عَظِيماً** [النساء : 54] .

فتنبه دائماً أخي المسلم إلى الأضرار الكبيرة التي تنجم عن الحقد ، ومن تلك الأضرار : الحسد فأنت إذا حقدت على أخيك المسلم فلاشك أنَّك ستحسده على النِّعم التي أفاء الله بها عليه ، وأنَّك سَتُسَرُّ بالمصائب التي تصيب أخاك المسلم ، وهذا بلا شك من صفات المنافقين الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر قال تعالى : **وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِم دَائِرةُ السَّوءِ** [التوبة : 98] وقال النَّبيُّ : ((**لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَ لأخيه ما يحب لنفسه**)) [1]، ولعل الحقد يزداد عند بعضهم فيدفعه على التشمت بالآخرين .

ومن أضرار الحقد أيضاً أنَّه مدعاةٌ إلى الهجر والمقاطعة أو الإعراض عنه .

ومن أضراره أيضاً أنَّه يدفعك إلى أنْ تتكلم في أخيك المسلم بما لا يحل ، وقد يؤول بك ذلك إلى الكذب عليه أو غيبته وإفشاء سره وهتك ستره ، بل ربما دفعك ذلك إلى وشايته بما يؤول إلى قتله ، إلى غير ذلك من الأضرار التي تنجم عن الحقد ، كالاستهزاء به والسخرية منه ، وإيذاءه بالضرب ، أو أنْ تمنعه حقه من قضاء دَين أو صلة رحم أو رد مظلمة ، وكل ما ذُكِرَ من أضرار الحقد إنَّما هي معاصٍ يُحاسَب عليها العبدُ يوم القيامة ، ويجد ذلك مكتوباً في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وسيكون حينذاك الندم ، لكن لا ينفع الندم .

---

[1] أخرجه : البخاري 1 / 10 (13) من حديث أنس بن مالك .

الحسد :

حذارِ أخي المسلم الكريم من الحسد ، والحسد : هو تمني زوال النعمة عن صاحبها بغض النظر عن أنْ تكون هذه النعمة دينية أو دنيوية ، والحسد صفةٌ ذميمةٌ ذمها ديننا الحنيف ، وقد قال تعالى في ذم الحاسدين واستنكار فعلهم : **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** [النساء : 54] وقال النَّبيُّ : ((**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحلُ لمسلم أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث**))() .

والحسد من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب ، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، ومن سلّم الله قلبه من الحسد والغل على الآخرين فقد أُعطي خيراً عظيماً ، ومن أعظم الأحاديث في ذلك ما رواه الإمام أحمد () بسند صحيح من حديث أنس بن مالك أنَّه قال : كنَّا جلوساً مع رسول الله فقال : ((**يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنَّة**)) فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوءه ، قد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان الغد ، قال النبَّيُّ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجلُ مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث ، قال النَّبيُّ مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النَّبيُّ ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : إني لاحيتُ[1] أبي ، فأقسمتُ أنْ لا أدخلَ عليه ثلاثاً ، فإنْ رأيتَ أنْ تؤويني إليك حتى تمضي ، فعلت . قال : نعم . قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنَّه بات معه تلك الليالي الثلاث ، فلم يَرَهُ يقوم من الليل شيئاً ، غير أنَّه إذا تعارّ [2] من الليل ، وتقلّبَ على فراشه ذكر الله ، وكبّر ، حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضتِ الثلاث ليالٍ ،

() أخرجه : مسلم 8 / 10 (563) (30) من حديث أبي هريرة .

() في مسنده 3 / 166 .

[1] () لاحيتُ : الملاحاة ، المباغضة والمنازعة .

[2] () هب واستيقظ .

وكدتُ أنْ أحقر عمله ، قلت : يا عبد الله ، إني لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجر ثَمَّ ، ولكني سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات : ((**يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنَّة**)) فطلعتَ أنت الثلاث مرارٍ ، فأردتُ أنْ آوي إليك ، لأنظرَ ما عملك ، فأقتدي به ، فلم أرَكَ تعملُ كثيرَ عملٍ ، فما الذي بلغ بك ما قالَ رسول الله فقال : ما هو إلا ما رأيتَ . قال : فلما ولّيتُ دعاني ، فقال : ما هو إلا ما رأيتَ ، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً ، ولا أحسد أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه . فقال عبد الله : هذه التي بلغتْ بكَ ، وهي التي لا نطيق .

الغش :

إياك أخي المسلم أن تغش أخاك المسلم فقد قال النَّبيُّ : ((**من غَشَّ فليس مِنِّي**))[1] وللغش مظاهر ، ومن أعظم الغش غش الراعي لرعيته وقد قال النبيُّ : ((**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**))[2] وكذا غش القائد لجنده ، والرئيس لمرؤوسيه وصاحب العمل لعماله ، ورب الأسرة لأسرته وقد قال النَّبيُّ : ((**ما من عبدٍ يسترعيه اللهُ رعيةً يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة**))[3] .

ومن الغش : الغش التجاري الذي يتعدى فيه الغاش على مال الغير ، ولو كان شيئاً يسيراً ؛ ليحصل عليه بالحرام عن طريق الكذب ، والكتمان أو إخفاء عيوب السلعة أو البخس في الميزان . وكذلك من أخطر أنواع الغش الغش في العلم ؛ لأنَّ الغاش حينما يحصل على شهادة بالغش ، ربما يحصل على مال حرام بذلك ؛ لذا فإنَّ الغش في الامتحانات من أخطر الكوارث .

---

[1] أخرجه : مسلم 1/69 (102) من حديث أبي هريرة .
[2] أخرجه : مسلم 6/8 (1829) من حديث ابن عمر .
[3] أخرجه : البخاري 9/80 (7150) و(7151) ، ومسلم 1/88 (142) (229) من حديث معقل بن يسار .

ومن أخطر أنواع الغش الغش بالقول كالإدلاء بالشهادات والأقوال والمعلومات أو القضاء وغيره بشكل مخالف للحقيقة ليوقع الضرر بالناس ظلماً وزوراً ، وقد قال النَّبيُّ : ((**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : **الإشراك بالله وعقوق الوالدين** ، ثم قال : **ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور**))[1] .

ومن أعظم أنواع الغش لأخيك المسلم أنْ لا تأمره بالمعروف ، ولا تنهاه عن المنكر ، ولا تحثه على فعل الخير قال تعالى : **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً** [الفرقان : 27-29] .

وقال تعالى : **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** [الزخرف : 67] وديننا الحنيف جاء لسعادة البشر في الدنيا والآخرة ؛ لذا حرّم الغش بجميع أنواعه لما فيه من الفساد والضرر بالعباد بظلم بعضهم لبعض ، وبإيجاد الشحناء بينهم أو بأكل أموالهم بالباطل ؛ لذلك أوجب الإسلام على جميع المسلمين تقوى الله في المعاملة ، وحذّر الإسلامُ من أسباب غضب الله ، وأليم عقابه الذي توعد به أصحاب الغش .

تنبيه لمحاسبة النفس :

أخي المسلم هل حاولتَ أنْ تعد حسناتك وسيئاتك كما تعد دنانيرك ودراهمك ؟

هل خلوتَ بنفسك يوماً فحاسبتَها على ما بَدَرَ منها من التقصير والإهمال في جنب الله ؟

هل تأملتَ يوماً طاعتَك التي تقرّبتَ بها إلى بارئك مفتخراً بها فوجدت أكثرها مشوبة بالرياء والسمعة وحظوظ النفس ؟

---

[1] أخرجه : البخاري 3/225 (2654) و 8/76 (6273) و(6274) و 9/17 (7919) ، ومسلم 1/64 (87) من حديث نفيع بن الحارث .

اعلم أخي المسلم أنَّ محاسبة النفس أمرٌ لا بد منه ، فحاسبْ نفسَك الآن قبل أنْ تُحاسَـبَ يـوم القيامـة ، وَزِنْ حسناتك بسيئاتك في الدنيا قبل أنْ تُوزَنَ يوم الآخرة يـوم الحسرة والندامة ، يوم يفـر المـرء مـن أخيـه وأمـه وأبيـه وصاحبته وبنيه .

فعليك أخي المسلم أنْ تتصفح عملـك فـي الليـل مـا صدر منك ذلك النهار ، فإنْ كان عملك محموداً أمضيته ثم تعمل فيما بعده بمثله ، وإنْ كان ما فعلته في ذلـك النهـار مذموماً فعليك أنْ تستغفر وتتوب وتستدركه ، وتنتهي عـن مثله فيما يستقبل من الأيام .

ثـم عليـك أخـي المسـلم أنْ تتثبـت دائمـاً فـي جميـع الأحوال قبل الفعل والترك ، حتى يتبين لك ما تفعل ، فإنْ كان خيراً فاعمل وإنْ كان دون ذلك فاترك .

وتَبصّـر دائمـاً بقـوله تعـالى : **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَـوْا إِذَا مَسَّـهُمْ طَـائِفٌ مِـنَ الشَّـيْطَانِ تَـذَكَّرُوا فَـإِذَا هُـمْ مُبْصِرُونَ** [الأعراف : 201] .

ولمحاسبة النفس فوائـد جمـة ومنـافع عـدة ، منهـا : أنك تطّلع على عيوب نفسك ونقائصها ومثالبها ، ومـن ثـم تستطيع أنْ تضع الدواء علـى موضـع الـداء . وكـذلك أنـك بمحاسبتك لنفسك تتعرف على اللـه أكـثر ، وتعلـم عظيـم فضـله عليـك . ثـم إنَّ مـن أعظـم ثمـار المحاسـبة التوبـة والندم وتدارك ما فـات مـن الأعمـال الصـالحة فـي زمـن الإمكان ، وسيؤول ذلك إلـى الاجتهـاد فـي الطاعـة وتـرك المعاصي ؛ حتى تسهل عليك المحاسـبة فـي يـوم لا ينفـع فيه مالٌ ولا بنون .

أكل حقوق الآخرين :

احذر أخي المسـلم مـن أكـل حـق أخيـك سـواء كـان بسرقة أو غصب أو عن طريق رشاً [1] أو غير ذلـك ؛ فـإنَّ الكسـب الحـرام يفسـدُ العبـادة ، ويخـل بالطاعـة ويكـون مردوده علـى الصـحة عكسـياً . والكسـب الحـرام يفسـد تربية الأبناء فتخرج تربيتهم معوجـة ، فـإنَّ الجسـد الـذي

---

(1) جمع رشوة .

ينبت بالحرام ينبت على معصية الله ؛ لأنَّه نشأ من معصية الله ، وقد قال النَّبيُّ : ((**لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به**))[1] .

فاحرص أخي المسلم كل الحرص على دخلك وكسبك ولو قَلّ ، وإياك إياك وحقوق الآخرين ، قف متأملاً قول الله تعالى : **بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُم** [هود :86].

جميع المعاصي محاربة لله :

ينبغي للعبد أنْ يعلم أنْ جميع المعاصي محاربةٌ لله ؛ فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله : ((**من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة**))[2] ، وقال رسول الله : ((**مَن ضارَّ أضرَّ اللهُ به ، ومن شاقَّ شقَّ اللهُ عليه**))[3] .

فقوله : " **من ضار** " أي مسلماً بمعنى : أدخل على مسلم مضرة في ماله أو نفسه أو عرضه بغير حق " **أضرَّ الله به** " أي جازاه من جنس فعله ، وأدخل عليه المضرة ، ومن شاق مسلماً ، أي نازع مسلماً ظلماً وتعدياً " **شقّ الله عليه** " أي أنزل الله عليه المشقة جزاءً وفاقاً .

قطيعة الرحم :

احذر أخي المسلم قطيعةَ الرحم ؛ فإنَّ قطيعة الرحم ذنبٌ عظيمٌ وجرمٌ جسيم ، يفصم الروابط ، ويقطع الشواجر ، ويشيع العداوة والبغضاء ، ويفكك الأسر .

وقطيعة الرحم أمرٌ مزيل للألفة والمودة ، ومجلبٌ لمزيد من الهم والحزن والغم .

وهي من الأمور التي تفشت في مجتمعات المسلمين لا سيما في هذه الأزمان التي طغت فيها المادة ، وقل فيها التواصي والتزاور فكثير من الناس مقصرون في هذا

---

[1] جزء من حديث رواه جابر بن عبد الله ، أخرجه معمر في جامعه (20719) ، ومن طريقه أحمد في مسنده 3/321 .

[2] أخرجه : مسلم 8/70 (2699) .

[3] حديث حسن أخرجه أحمد 3 / 453 من حديث أبي صرمة ، وللحديث طرق وشواهد انظر مسند أحمد 25/34 طبعة الرسالة .

الواجب وواقعون في معصية قطيعة الرحم ، وقد حذّرنا اللهُ من ذلك أشد التحذير بقوله : **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** [محمد : 22] ، والسبب في إهمال كثير من الناس لصلة أرحامهم هو الجهل بالدين ، وابتعاد الناس عن الهدي النبوي ، فكلما كان الشخص عارفاً بالله كان أخشى لله ، وصلة الرحم من خشية الله ، وقطيعته من معصية الله ، نسأل الله السلامة .

والواصل للأرحام له أجرٌ كبير ، والواصل هو الذي يصل قرابته سواء وصلوه أم قطعوه ؛ ولهذا قال النَّبيُّ : ((**ليس الواصلُ بالمكافئ ، ولكنّ الواصلَ الذي إذا قطعت رحمه وَصَلَها**))[1] .

وصلة الأرحام تكون بزيارتهم وتفقدهم ، وتتبع أحوالهم في السراء والضراء ، وتكون الصلة بالمال وبالجاه ، وبمشاركتهم بأفراحهم وبمواساتهم بأتراحهم .

ومن صلة الرحم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر قال تعالى : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** [الشعراء : 214] .

وللقطيعة أسباب تحمل عليها منها الجهل ؛ فإنَّ الجهل بفضيلة صلة الأرحام يفوت على المرء فضيلة ذلك ، وكذا الجهل بخطر القطيعة وعظمة إثم القاطع يحمل عليها . وكذلك من أسباب القطيعة : ضعف التقوى ، وقلة الوازع الديني فإذا ضعفت التقوى ، وَرَقَّ الدينُ لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أنْ يوصل ، ولعل من أكثر أسباب القطيعة الكبر ؛ فبعضهم يتكبر على أقاربه حينما يفيء اللهُ عليه بشيءٍ من عرض هذه الدنيا الفانية ؛ فتوسوس نفس المتكبر أنَّه صاحب الحق ، وأنه أولى بأنْ يزار ويؤتى إليه . ولعل كثيراً من الناس يدفعهم إلى قطيعة الرحم الشح والبخل ، فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تجده يتهرب من أقاربه لا كبراً عليهم ، وإنما شحاً وبخلاً أنْ يبذل عليهم .

---

[1] أخرجه : البخاري 8/7 (5991) ، وهو في الأدب المفرد (68) من حديث عبد الله بن عمرو .

ومن أسباب القطيعة الاشتغال بالدنيا واللهث وراء حطامها ، فلا يجد المنهمك في جمع حطام الدنيا الوقت الكافي لصلة أقاربه .

وربما كان التحاسد والتنافر سبباً في كثير من الأرحام المقطوعة . ثم إنَّ الوشاية والإصغاء إليها تكون في كثير من الأحايين سبباً في قطيعة الرحم ؛ لأنَّ من الناس من دأبه وديدنه إفساد ذات البين فتجده يسعى بين الأحبة لإفساد ذات بينهم .

واحذر أخي المسلم من إشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرمه الله وحرمه رسوله قال تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا** [النور : 19] .

قال ابن رجب : ((**قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف : اجتهد أنْ تستر العصاة ، فإنَّ ظهور معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام ، وأولى الأمور ستر العيوب**)) [1] فلهذا كانت إشاعة الفاحشة مقترنة بالتعيير ، وهما من خصال الفجار ؛ لأنَّ الفاجر لا غرض له في زوال المفاسد ولا في اجتناب المؤمن للنقائص والمعايب ، إنما غرضه في مجرد إشاعة العيب في أخيه المؤمن وهتك عرضه ، فهو يعيد ذلك ويبديه ومقصوده تنقص أخيه المؤمن في إظهار عيوبه ومساوئه للناس ، ليدخل عليه الضرر في الدنيا [2] .

واحذر أخي المسلم بإشاعتك الفاحشة أنْ يكون الحامل لك على هذا القوةَ والغلظةَ ومحبةَ إيذاء أخيك المؤمن ، وإدخال الضرر عليه ، وهذه الصفة القبيحة هي صفة إبليس الذي يزين لبني آدم الكفر والفسوق والعصيان ليصيروا بذلك من أهل النيران قال تعالى : **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً** [فاطر : 6] .

---

[1] جامع العلوم والحكم 2/292 .

[2] الفرق بين النصيحة والتعيير 18-19 .

ولما ركبَ ابن سيرين الدَّيْنُ وحُبس به قال : ((**إني لأعرف الذنب الذي حمل عليَّ به الدين ، ما هو ؟ قلت لرجل من أربعين سنة : يا مفلس**)) [1].

الإشاعة :

احذر أخي المسلم من الإشاعة ، والإشاعة : كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق ، تتناقل من شخص إلى شخص ، عادةً بالكلمة المنطوقة ، وذلك دون أنْ تكون هناك معايير أكيدة للصدق [2]. فالشائعات لها خطورتها في زعزعة أمن الناس واستقرارهم ، وهي تحدث الفوضى والبلبلة في أفكار الناس وتفقدهم توازنهم ، ولها أضرار كبيرة ، وفي أوقات الأزمات تكون أضرار الإشاعة أكبر ، والمرجفون الذين يحاولون زلزلة أوقات الناس في الغالب يستغلون الظروف غير الاعتيادية . وخطر الإشاعات ظاهرٌ وبيّنٌ في كل زمان ومكان . وفي بغداد مدينة السلام – حرسها الله وأذهب عنها شرذمة الكافرين - ذهب أكثر من ألف شخص في ساعة واحدة نتيجة إشاعة من الإشاعات على جسر من الجسور [3] . بل إنَّ خطر الإشاعة على أمن واستقرار الناس قد ظهر قديماً وبشكل واضح في قصة الإفك [4] في فجر الإسلام . فالإشاعة أخي المسلم لها تأثيرها على الروح المعنوية في إثارة الفتن والأحقاد بين الناس ، وهذه الفتن والأحقاد قد تؤول إلى جرائم . إذنْ فخطر الإشاعة يكمن في أنها تزيد من تفرُّق المسلمين ، وتوقد نار الشحناء والبغضاء بينهم ، فيجب الابتعاد عن هذا العمل ؛ لأنَّه مُبغَض عند الله تعالى ، قال تعالى : **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِ أَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**

1() أخرجه : أبو نعيم في الحلية 2/271 .

[2] الإشاعة والحرب النفسية : 45 .

[3] هذا في عام 1426هعلى جسر الأئمة الذي يربط منطقة الأعظمية بمنطقة الكاظمية .

[4] راجع القصة في صحيح البخاري 6/127 (4750) ، وصحيح مسلم 8/112 (2770) (56) . وانظر : الرحيق المختوم : 245 – 247 .

[النور : 15] فذكر سبحانه وتعالى أنَّ هذا الصنف من الناس يتلقى أعظم الأمور ، وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام ، فلسان يتلقى عن آخر بلا تدبر ولا فحص ولا إمعان ، حتى لكأنَّ الأمر لا يمر على الآذان ولا تتملاه الرؤوس ، ولا تتدبره العقول ، فينطق اللسان بالإشاعة الباطلة من غير وعي ولا عقل ولا قلب . فعلى ناقل الإشاعة أنْ يتقي الله في نفسه ، ويراقبه في كل ما يقول ويفعل . وعليه أنْ يتذكر أنَّه مُحاسَب على كل كلمة يتكلم بها ، وقد قال النَّبيُّ : ((**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**))[1] ، وقال أيضاً : ((**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**))[2] .

وقال تعالى : **وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** [النساء : 83] . قال الشيخ عبد الرحمان السعدي رحمه الله عن هذه الآية الكريمة : ((هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق ، وأنَّه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين ، أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم أنْ يثبتوا ، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر ، بل يردونه إلى رسول الله ، وإلى أولي الأمر منهم ، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها))[3] .

---

[1] أخرجه : البخاري 8/125 (6477) ، ومسلم 8/224 (2988) (50) من حديث أبي هريرة .
[2] أخرجه : البخاري 8/125 (6478) من حديث أبي هريرة .
[3] تيسير الكريم الرحمان : 190 .

أما طرق دحض الإشاعة :

فعليك تذكير الناقل للإشاعة بالله وتحذيره من مغبة القول بلا علم . وتذكير الناقل بالعاقبة المتحصلة إذا كانت الإشاعة كذباً . وعدم التعجل في تقبل الإشاعة دون استفهام أو اعتراض . وعدم ترديد الإشاعة ؛ لأنَّ في ذلك انتشاراً لها . وعليك اقتفاء سير الإشاعة وتتبع مسارها للوصول إلى مطلقيها ومحاسبتهم بما أباحه الله . ثم عليك بإماتتها وبالإعراض عنها ، قال الإمام مسلم صاحب الصحيح : ((إذ الإعراض عن القول المطّرح أحرى لإماتته وإخمال ذكر قائله ، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجُهّال عليه))[1] .

هذا وينبغي على الجميع حفظ الألسن عن اتهام البريء بما ليس فيه ؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى تلوث الذمم والأخلاق ، وليتذكر المسلم دائماً قوله : ((**بحسب امرئ من الشر أنْ يحقر أخاه المسلم**))[2] .

وجوب حفظ اللسان :

أخي المسلم الكريم اعلم أنَّ مَن حَفِظَ لِسَانَهُ قَلَّ خطأهُ ، وندر عثاره وكان أملك لزمام أمره وأجدر ألا يقع في محذور ، وقد بشر النَّبيُّ من يضمن ذلك وضمن له النَّبيُّ الجنة في قوله : ((**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**)) وفي رواية أيضاً : ((**من توكل لي ما بين رجليه ، وما بين لحييه توكلت له بالجنة**))[3] .

فعلى هذا ينبغي لكل مكلف أنْ يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنةُ الإمساك عنه لأنَّه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه ، وذلك يحصل كثيراً للكثير من الناس .

---

[1] صحيح مسلم 1/22 .

[2] أخرجه : مسلم 8/10 (2564) (32) من حديث أبي هريرة .

[3] أخرجه : البخاري 8/125 (6474) و8/203 (6807) من حديث سهل بن سعد الساعدي .

فالمسلم إذا استقام لسانه استقامت جـوارحه ، وأمـا من أطلق عنـان ذلـك الأمـر ، ودخـل لسـانه فـي معصـية الله ، وخاض في أعراض الناس ؛ فـإنَّ جـوارحه ستعصـي وتنتهك حرمات الله ، وقد جاء عـن النـبيِّ : ((**إذا أصـبح ابــن آدم ، فــإنَّ الأعضــاء كلهــا تُكفِّــر[1] اللســان فتقـول : اتـق اللـه فينـا فإنمـا نحـن بـك ، فـإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا**)) [2] .

أخي المسلم الكريم ، تـذكّر دائمـاً وقوفـك عنـد اللـه وأنت عريان ، فلا تطلق لسانك ، وكن عليه رقيباً .

اللسان دليل على كمـال عقـل الإنسـان أو نقصـانه ، فمن أفلـت لسـانه دل علـى نقصـان عقلـه فـأكثر النـاس كلاماً ولغواً هم أقلهم عقولاً ، تمعّن جيداً فالأمر جد خطيـر ؛ لأنَّه متعلق إما بدخول الجنة أو النار ، وهـذا مـا نرجـوه ، وهو العمل على ما يدخل الجنة ، وتجنب ما يـدخل النـار . اللسان يدخل الإنسان الإسلام بكلمة ، ويخرج منه بكلمة ، ويدخل بذلك النار . تنبـه دائمـاً أنَّ كـل كلمـة وكـل لفظـة مسجلة ، كـم يجلـس الإنسـان فـي مجـالس ، وفـي أكـثر المجـالس يـأتون بإنسـان ميـت ينهشـون بلحمـه يـأكلون أخاهم ميتاً ، نعم من يغتاب أخاه المسلم كمن يأكـل لحـم أخيه ميتاً ، فالمسلم له حرمة ، وحرمته أعظم من حرمــة الكعبة فقد روى ابن ماجه [3] من حديث عبد الله بـن عمـر قال : رأيت رسـول اللـه يطـوف بالكعبـة ويقـول : ((**ما أطيبــك وأطيــب ريحــك ، مــا أعظمــك وأعظــم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المـؤمن أعظم عند الله حرمة منك مـاله ودمـه وأنْ نظـن به إلا خيراً**)) .

---

[1] () تكفر : بتشديد الفاء المكسورة أي تتذلل وتتواضع له من قولهم : كفر اليهودي إذا خضع مطأطأ رأسه ، وانحنى لتعظيم صاحبه . تحفة الأحوذي 7/74-75

[2] أخرجه : ابن المبارك في الزهد (1012) ، والطيالسي (2209) ، وأحمد 3/95 ، والترمذي (2407) ، وأبو يعلى (1185) من حديث أبي سعيد الخدري .

[3] برقم (3932) .

تـذكّر أخـي المسـلم كـم إنسـاناً تكلمـتَ فيـه ؟ وكـم إنساناً طعنتَ فيه ؟ كـل هـؤلاء سـوف يكونـون خصـماءك عند الله ، نعم سـيكونون خصـماءك يـوم القيامـة ، فهـذا أخوك المسلم تغتـابه وتتكلـم فيـه وتطعـن بـه ، ولا تظنـه سيكون خصمك يوم القيامـة ، أتظـن أنَّ اللـه سـيتركك ؟ لا : إنَّ الله لـن يتركـك ؛ لأنَّ اللـه أعـدل العـادلين ينصـف المظلـومين مـن الظـالمين . فتنبـه دائمـاً أنَّ الكلمـة إذا خرجت فهي مكتوبة لك أو عليك ؛ فإياك وإيـاك أنْ تتكلـم إلا وتفكر هل سيكتب لـك أو عليـك ؟ والسـلامة لا يعـدلها شيء فإنْ لم تعرف أنَّ ما تتكلم بـه خيـراً أو شـراً فعليـك بالصمت ، والنَّبيُّ يقـول : ((**مـن صـمت نجـا**))[1] فـانتبه دائماً للسانك قال تعالى : **وَلا تَقْفُ مَـا لَيْـسَ لَـكَ بِـهِ عِلْمٌ** [الإسـراء : 36] يقـول عبـد اللـه بـن مسـعود : ((**والله الذي لا إله غيره مـا مـن شـيء أحـوج إلـى سـجن مـن لسـان**)) [1]، وهـذا ابـن عبـاس حـبر الأمـة وترجمـان القـرآن كـان يقـول : ((**قل خيـراً تغنـم ، أو اصمت تسلم قبل أن تندم**)) [2].

أخـي المسـلم الكريـم ، تمعـن فـي سـيرة الرسـول وشمائله وانظر كيف أنـه كـان كـثير الصـمت ، فهـذا نبينـا الأعظم رسولٌ ونبيٌّ وكانت هذه صـفته ، وكـان الأعرابـيُّ يدخل المسجد فلا يعرف رسول الله من كثرة كلامه ، ولا من جلسته ولا من مكانه ، وهذا دليل على مزيـد تواضـعه صلوات الله وسلامه عليه .

أخي المسلم الكريم ، تمعن فـي قـول النَّـبيِّ حينمـا قال : ((**من كان يؤمن بالله واليـوم الآخـر فليقـل خيـراً أو ليصـمت**))[2] هكـذا قـال النـبيُّ لأنَّ الصـمت والسلامة لا يعدلهما شيءٌ ، فأنت إذا تكلمت إما لـك وإمـا عليـك قـال تعـالى : **وَإِنَّ عَلَيْكُـمْ لَحَـافِظِينَ كِرَامـاً**

---

[1] أخرجه : أحمد 2/159 و 177 ، والترمذي (2501) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

[1] أخرجه : ابن أبي عاصم في " الزهد " (864) ، والطبراني (8744) ، وأبو نعيم في " الحلية " 1/134 .

[2] أخرجه : ابن أبي عاصم في " الزهد " (1043) ، وأبو نعيم في " الحلية " 1/327 – 328 .

[2] أخرجه : البخاري 8/125 (6475) من حديث أبي هريرة .

كَاتِبِينَ [الانفطار : 10 - 11] فاحرص دائماً أنْ تقول قولاً سديداً ؛ لأنَّه ليس هناك كلام يذهب سدىً فأنت تتكلم بكلام إما يسخط الله فيكتب عليك ، وإما من رضوان الله فيكتب لك .

فعليك دائماً أنْ تتنبه إلى لسانك حتى لا يوردك الموارد ، فهذا أبو بكر الصديق المبشر بالجنَّة ، وصاحب النَّبيِّ بالغار يشير إلى لسانه ويقول : ((**هذا أوردني الموارد**)) [1] فإذا كان هذا حال لسان أبي بكر ، ذلك اللسان الذاكر الحامد المسبح ، الآمر بالمعروف ، الناهي عن المنكر ، الناصر لدين الله ، المصدِّق لرسول الله ، فما حال ألسنتنا ، نسأل الله السلامة .

التخلق بالأخلاق الإسلامية :

على كل مسلم ومسلمة أنْ يتخلقا بالأخلاق الإسلامية التي أمر الله بها عباده في القرآن الكريم وحث عليها النَّبيُّ الكريم محمد ، وأنْ يستقيما عليها حتى يأتيهما الموت ، فالله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لطاعته وعبادته ، ووعدهم أحسن الجزاء إذا استقاموا عليها فوعدهم الله سبحانه وتعالى على التوفيق في الدنيا والإعانة على الخير ، ثم في الآخرة الجنة والفوز بالنعيم المقيم .

التوبيخ والتعيير :

واحذر أخي المسلم من التوبيخ والتعيير بالذنب ؛ فإنَّ ذلك مذموم ، وقد نهى النَّبيُّ أنْ تُثرّب الأمة الزانية مع أمره بجلدها ، فتجلد حداً ولا تعيّر بالذنب ولا توبّخ ؛ لذا فرّق أهلُ العلم بين النصيحة والتعيير ، ويقول الفضيل : ((**المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعيّر**)) [2] .

وهذا المعنى عظيم ، والفرق ظاهر بين النصيحة والتعيير ، وهو أنّ النصح يقترن به الستر ، والتعيير يقترن به الإعلان ، وقد قيل : ((**من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيَّره**)) .

---

[1] () أخرجه : وكيع بن الجراح في " الزهد " (287) ، وهناد في " الزهد " (1093) .

[2] () انظر : جامع العلوم والحكم 1/225 حديث (7) .

الـزنا :

إنَّ من أعظم حُرم المسـلم علـى المسـلم العـرض ، ومن ذلك الزنا ، وأنا لن أتكلم عن هذه الجريمة العظمــى من بابها الواسع ، بل سأتكلم عنها من جـانب أنهـا جريمـة عظمى بحق أخيك المسلم .

ولـو لـم يكـن فـي هـذه الجريمـة إلا تـدنيس العـرض والشرف ونزع شعار الطهر والعفاف والفضيلة لكفى هذه الجريمة سوءاً . ثم إنَّ صاحب هذه الجريمـة يُكسَـى ثـوب المقت بين الناس . وجريمة الزنا تشـتت القلـب وتمرضـه إن لم تُمِتْهُ ، وهذه الجريمة تفسد نظام البيت وتهـز كيـان الأسرة وتقطع العلاقة الزوجية ، ثم يتعـرض الأولاد لسـوء التربية مما يتسبب عنه التشرد والانحراف والجريمة .

ثم إنَّ في هذه الجريمـة ضـياعاً للأنسـاب واختلاطهـا وتمليك الأمـوال لغيـر أصـحابها عنـد التـوارث ، وقـد قـال النبي فيمن يخلط النسب حينما أراد رجل أنْ يطأ جارية ، وكانت حاملاً فقـد روى الإمـام مسـلم فـي صـحيحه[1] مـن حديث أبي الدرداء ، عن النـبيِّ : أنـه أُتـي بـامرأة مجـحٍ[2] على باب فسطاط فقال : ((**لعله يريد أنْ يلمَّ بهـا ؟**)) فقـالوا : نعـم فقـال رسـول اللــه : ((**لقـد هممـتُ أنْ ألعنه لعناً يدخُلُ معه قـبرَه ، كيـف يـورثه وهـو لا يحلُ له ؟ كيف يستخدمُه وهو لا يحلُ له ؟**)) .

وإنَّ من أعظم الزنا وأشـده الزنـا بحليلـة الجـار قـال ابن القيم : ((**وأعظم أنـواع الزنـا أنْ يزنـي بحليلـة جاره ، فإنَّ مفسدة الزنا تتضاعف ما ينتهكه مــن الحرمة ، فالزنا بالمرأة التي لها زوج أعظم إثمـاً وعقوبـة مـن الـتي لا زوج لهـا ؛ إذ فيـه انتهـاك حرمة الزوج وإفساد فراشه ، وتعليق نسب غيره عليه ، وغير ذلك من أنواع أذاه فهـو أعظـم إثمـاً**

---

[1] صحيح مسلم 4/160 (1441) (139) .

[2] هي الحامل التي قربت ولادتها .

وجرماً من الزنا بغير ذات البعل ، فإنْ كان زوجها جاراً له انضاف إلى ذلك سوء الجوار)) [1] .

وقد ذكر النَّبيُّ أن من أكبر الكبائر : ((**أنْ تزاني حليلة جارك**)) [2].

وقد قال النبي : ((**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**)) [3].

وكذلك إنَّ من أشد الزنا الزنا بنساء المجاهدين في سبيله ، وقد قال النَّبيُّ : ((**حرمةُ نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجلٍ من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى**)) [4].

صفات المؤمنين والمؤمنات :

تذكر أخي المسلم دائماً صفات المؤمنين حتى تتحلى بها ؛ فمما ورد منها في القرآن الكريم قوله تعالى : **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** [التوبة :71] .

فهذه هي صفات المؤمنين والمؤمنات ، وهذه هي أخلاقهم ، بعضهم أولياء بعض لا حقد ولا حسد ولا نميمة ، ولا غش ولا خداع ولا خيانة ولا تنابز بالألقاب ، ولا غير ذلك مما يؤذي المسلم أو المسلمة مما يسبب الشحناء والبغضاء والعداوة والفرقة . بل هم أولياء يتحابون في الله ويتناصحون بكل خير ، ولذلك هم يأمرون بالمعروف

1() موارد الضمآن 5 / 108 (21) .

2() أخرجه : البخاري 6/22 (4477) ، ومسلم 1/63 (86) (141) من حديث ابن مسعود .

3() أخرجه : مسلم 1/49 (46) من حديث أبي هريرة .

4() أخرجه : مسلم 6/42 (1897) (139) و43 (1897) (139) و(140) من حديث بريدة ابن الحصيب .

وينهون عن المنكر فيما بينهم , وبهذا تصلح مجتمعاتهم وتستقيم أحوالهم .

التحذير من أذية الجار :

واحذر أخي المسلم من أذية جارك فإنَّ للجار حقوقاً ، وقد وصى الله بالجار فقال في كتابه : **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** [النساء : 36] وصحَّ عن النَّبيِّ أنه قال : ((**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه**))[1].

وقال : ((**يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك**))[2] ، وقال : ((**لا يمنع جارٌ جاره أنْ يغرز خشبة في جداره**))[3] .

وقال : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**))[4] .

وقد حذرنا النَّبيُّ من أذية الجار ، فقال : ((**والله لا يؤمنُ ، والله لا يؤمنُ ، والله لا يؤمن** ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : **الذي لا يأمن جارُه بوائقَه**))[5] .

مما تقدم يتبين لنا منـزلة الجار في نظر الإسلام وأنَّ ما نراه عند كثير من الناس الآن من الذين لا يهتمون بحق

---

[1] أخرجه : البخاري 8/12 (6015) ، ومسلم 8/37 (2625) (141) من حديث ابن عمر .

[2] أخرجه : مسلم 8/37 (2625 (م)) (142) من حديث أبي ذر .

[3] أخرجه : البخاري 3/173 (2463) ، ومسلم 5/57 (1609) (136) من حديث أبي هريرة ، وانظر بلا بد مسند الإمام الشافعي 3/224-225 (1494) مع تعليقي عليه .

[4] أخرجه : البخاري 8/39 (6136) من حديث أبي هريرة .

[5] أخرجه : البخاري 8/12 (6016) من حديث أبي شريح الخزاعي .

الجوار ، ولا يأمن جيرانهم شرورهم فتراهم دائماً في نزاع معهم وشقاق واعتداء على الحقوق ، وإيذاء بالقول والفعل ، كل هذا مخالف لما جاء به القرآن والسنة الصحيحة ، وإنَّ ما نراه من ذلك موجبٌ لتفكك المسلمين ، وتباعد قلوبهم وإسقاط بعضهم حرمة بعض .

وعلى المسلم إذا ابتلي بجار سوء أنْ يصبر عليه ، فإنَّ صبره سيكون سبب خلاصه منه ، فقد جاء رجل إلى النَّبيِّ يشكو جاره فقال له : ((**اصبر**)) ثم قال له في الثالثة أو الرابعة : ((**اطرح متاعك**)) في الطريق فطرحه فجعل الناس يمرون به ويقولون ما لك ؟ فيقول : آذاني جاري فيلعنون جاره حتى جاءه وقال له : ((**رد متاعك إلى منْزلك فإني والله لا أعود**))[1] وعن أبي هريرة قال : قيل للنَّبيِّ : يا رسول الله ، إنَّ فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق ، وتؤذي جيرانها بلسانها ، فقال رسول الله : ((**لا خير فيها ، وهي من أهل النار ،** وقال : **وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار من الأقط ولا تؤذي أحداً ،** فقال رسول الله : **هي من أهل الجنة**))[2] . مما تقدم من نصوص الكتاب والسنة نعلم كيف عني الإسلام بالجار عناية عظيمة ؛ إذ حث على الإحسان إليه بالقول والفعل وحرم أذاه بالقول والفعل ، وجعل الإحسان إليه ومنع الأذى عنه من خصال الإيمان ، ونفى الإيمان الكامل عن من لا يأمن جاره شَرّهُ ، وأخبر أنَّ خير الجيران عند الله خيرهم لجاره .

دماء المسلمين :

أخي المسلم الكريم : إياك إياك الوقوع في دماء المسلمين فإنَّ مما عُلِمَ من الدين بالضرورة وتواترتْ به الأدلة من الكتاب والسنة حُرمةُ دم المسلم ؛ فإنَّ المسلم

---

[1] أخرجه : البخاري في الأدب المفرد (124) ، وأبو داود (5153) ، وابن حبان (520) من حديث أبي هريرة .

[2] أخرجه : أحمد 2/440 ، والبخاري في " الأدب المفرد " (119) ، وابن حبان (5764) من حديث أبي هريرة .

معصوم الدم والمال ، لا تُرفعُ عنه هذه العصمة إلاّ بإحدى ثلاث ؛ إذ يقول الرسول : ((**لا يَحلُّ دمُ امرئٍ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث : كَفَرَ بعدَ إسلامهِ ، أو زَنَى بعد إحصانهِ ، أو قَتَلَ نفساً بغير نفس**))[1]، وما عدا ذلك ، فحرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة ، بل من الدنيا أجمع . وفي ذلك يقول الرسول : ((**والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**))[2] وهذا الحديث وحده يكفي لبيان عظيم حرمة دم المسلم ، ثم تبصّر ماذا سيكون موقفك عند الله يوم القيامة إنْ أنت وقعت في دم حرام ، نسأل الله السلامة .

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** [النساء : 93] : (يقول الله تعالى : ليس لمؤمنٍ أنْ يقتل أخاه بوجه من الوجوه ، وكما ثبت في الصحيحين [3] عن ابن مسعود : أنَّ رسول الله قال : ((**لا يحلُ دم امرىء مسلم يشهد أنْ لا إله إلا الله وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة**)) ، ثم إذا وقع في شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أنْ يقتله ، وإنَّما ذلك إلى الإمام أو نائبه)[] . وقال ابن كثير في تفسير نفس الآية : (وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله ، حيث يقول الله سبحانه في سورة [الفرقان : 68] **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقّ** الآية ، وقال

1() أخرجه : أبو داود (4502) ، وابن ماجه (2533) ، والترمذي (2158) ، والنسائي 7/91 وفي الكبرى ، له (3482) من حديث عثمان بن عفان .

2() أخرجه : النسائي 7/82 وفي الكبرى ، له (3448) من حديث عبد الله بن عمرو .

3() أخرجه : البخاري 9 / 6 (6878) ، ومسلم 5 / 106 (1676) (25) .

() تفسير ابن كثير : 514 و 515 .

تعالى : **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** إلى أن قال : **وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** [الأنعام : 151] ، والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً)) () : ((

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله : ((**من جحد آية من القرآن ، فقد حل ضرب عنقه ، ومن قال : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فلا سبيل لأحد إلاّ أن يصيب حداً فيقام عليه**)) [1].

وفي رواية عن أنس : ((**فإذا شهدوا أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حُرّمتْ علينا دماؤهم وأموالهم إلاّ بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم**)) [2].

وعلى المسلم أنْ يقف كثيراً عند قوله تعالى : **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** [محمد : 22] .

فانظر أخي المسلم إلى عظمة كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، والحصن والأمان الذي تضفيه على صاحبها إلاّ باستثناءات ذُكرتْ آنفاً .

ومما لا بد من علمه أخي المسلم أن الله لم يجعلْ عقوبةً بعد عقوبةِ الشرك بالله أشدَّ من عقوبة قتل المؤمن عمداً حيث يقول : **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** [النساء : 93] ، وقد اختلف السلف في هذه الآية فذهب بعض الصحابة إلى أنَّ هذه الآية محكمةٌ وأنها آخر ما نزل على رسول الله ، وممن ذهب إلى ذلك الإمام الحبر الصحابي الجليل وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فعن سالم بن

() تفسير ابن كثير : 516 .

[1] () أخرجه : ابن ماجه (2539) ، وابن عدي في " الكامل " 3/280 .

[2] () أخرجه : البخاري 1/109 (393) .

أبي الجعد عن ابن عباس أنَّ رجلاً أتاه فقال : أرأيتَ رجلاً قتل رجلاً متعمداً ؟ قال : جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً ، قال : أُنزلتْ في آخر ما نزل ، ما نسخها شيءٌ حتى قُبضَ رسولُ الله ، قال : أرأيتَ إنْ تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟ قال : وأنى له التوبة ، وقد سمعتُ رسولَ الله يقول : ((**ثكلتْهُ أُمُه رجلٌ قتلَ رجلاً متعمداً يجيء يومَ القيامة آخذاً قاتله بيمينه أو بيساره وآخذاً رأسه بيمينه أو شماله تشخبُ أوداجه دماً في قبل العرش يقول : يا رب سَلْ عبدك فيم قتلني ؟**)) [1] ، وفي الحديث الصحيح الذي يرويه النسائي في المجتبى [2] عن معاوية عن رسول الله - قال : سمعته يخطب - يقول : ((**كلُّ ذنبٍ عسى اللهُ أنْ يغفره إلاّ الرجلُ يقتلُ المؤمنَ متعمداً أو الرجل يموتُ كافراً**)) فأيُّ خطر هذا ، وأي مهلكة يقدم عليها المرء ويجازف بها ، حياةٌ لا ممات فيها وخلودٌ في مستقر لا تَقَرُّ به عينٌ ولا تُرفعُ به عقيرةٌ فخراً وزهواً ، وغَضَبٌ من الله وعذابٌ عظيم وخزي في الدنيا والآخرة مع مكث ولبث طويلين لا يعلم أمدهما إلاّ الله جل في علاه نسأل الله السلامة لنا ولمن اتعظ واتّبع . ثم تبصّرْ أخي المسلم الكريم الحديث جيداً لتنظر كيف أنَّ النَّبيَّ قد قرن بين قتل المؤمن والشرك بالله تعالى ، وجعلهما مشتركين في استبعاد الغفران .

واعلم أخي المسلم أنَّ أول ما يُقضَى يوم القيامة بين العباد في الدماء ففي ذلك يقول الرسول : ((**أولُ ما يُحاسَبُ به العبدُ الصلاةُ ، وأولُ ما يُقضَى بينَ الناسِ الدماءُ**)) [3] وما ذلك إلا لعظم خطرها يوم القيامة فاستعدَ للموقف العظيم ، والسؤال الصعب الذي ما بعده إلا جنة أو نار . وكل الذنوب يُرجَى معها العفو والصفح إلاّ

---

[1] () أخرجه : الحميدي (488) ، وأحمد 1/240 ، وعبد بن حميد (680) .

[2] () 7/81 وفي " الكبرى " ، له (3446) .

[3] () أخرجه : البخاري 9/3 (6864) ، ومسلم 5/107 (1678) من حديث عبد الله بن مسعود ((دون الشطر الأول)) .

الشــرك ، ومظــالم العبــاد . ولا رَيــبَ أنَّ سَــفْكَ دمــاء المسلمين وهَتْكَ حرماتهم لَمِنْ أعظـم المظـالم فـي حـق العباد ، فعن عقبة بن عامر قـال : قـال رسـول اللـه : ((**ليس من عبد يلقَى اللهَ لا يشرك به شـيئاً ، ولـم يتنـد بـدم حـرام إلاّ دخـل مـن أي أبـواب الجنـة شاء**)) [1] قوله : ولم يتند : أي لم يصـب منـه شـيئاً أو لـم ينل منه شـيئاً ويقـول الرسـول الأعظـم فـي حـديث رواه البخـاري فـي صـحيحه [2] : ((**أبغض النـاس إلـى اللـه ثلاث : مُلْحِدٌ في الحَرَم ، ومُبتغٍ في الإسلام سـنة الجاهلية ، ومطلب دم امرىـء بغيـر حـق ليهريـق دمه**)) . وعن جندب عن النَّبيِّ قال: ((**من سَمّعَ سَـمّعَ اللهُ به يوم القيامة ، قال : ومن يشـاقق يشـقق الله عليه يوم القيامة ، فقالوا : أوصنا . فقـال : إنَّ أول ما ينتن من الإنسان بطنه فمن اسـتطاعَ أنْ لا يأكل إلاّ طيباً فليفعل ، ومن اسـتطاع أنْ لا يحال بينه وبين الجنة ملىء كـف مـنْ دم أهراقـه فليفعل**)) رواه البخـاري [3]**.** وعـن عبـادة بـن الصـامت عن النَّبيِّ قال: ((**من قتل مؤمناً فاغتبط[4] بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**)) [5].

وإياك إياك أخي المسلم أنْ تُضيع على نفسك فرصـة النجاة فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عـن النَّـبيِّ : ((**لا يزال المؤمن في فسـحة مـن دينـه مـا لـم يُصِبْ دماً حراماً**)) **[6]** أخي المسـلم الكريـم ، هـل أنـت على استعداد أنْ تفوّت على نفسك فرصة النجاة العظيمة من النار ، وقد روى البخاري ومسلم[7] عن النبي أنه قال : ((**ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب**

1() أخرجه : أحمد 4/148 ، وابن ماجه (2618) ، والحاكم 4/351 - 352 .

2() 9 / 7 (6882) من حديث ابن عباس .

3() 9 / 80 (7152) .

4() هم الذين يقتلون في الفتنة ، فيقتل أحدهم فيرى أنه على هدا ولا يستغفر الله منه أبداً . مسند الشاميين 2/266.

5() أخرجه : أبو داود عقب (4270) .

6() أخرجه : البخاري 9 / 2 (6862) .

7() أخرجه : البخاري 1/41 (121) ، ومسلم 1/58 (65) (118) من حديث جرير بن عبد الله .

بعض)) . ثم اجعل دائماً أخي المسلم نُصْبَ عينيك أنَّ دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض ، ولا تحل إلا بإذن الله ورسوله .

واعلم أخي المسلم : أنَّ ما أوردناه غيض من فيض وقليل من كثير فهو إشارات لكثير من العبارات التي وردت في الكتاب والسنة ، تحث المسلمين على الورع والكف عن دماء إخوانهم ، ولما سبق ذكره كان الصحب الكرام والتابعون لهم بإحسان أشد ما يكونون من الورع والوجل من أنْ يغمس أحدهم يده بمظلمة في حق مسلم ، وكانوا كذلك رحمهم الله ورضي عنهم لشدة ما سمعوا ووعوا من كلام النبوة في التحذير من الانغماس في الفتن والشبهات والتزام النفس والبيت ، وعدم الولوج في حرمات المسلمين حتى بالكلام ، صوناً لهم عن التسبب في مظالم للمسلمين فضلاً عن الخوض فيها .

قال أبو موسى الأشعري : ((**إنَّ بعدكم فتناً القاعد خير من الساعي ، حتى ذكر الراكب ، فكونوا فيها أحلاس بيوتكم**)) [1].

وعن جندب قال: ((**ستكون فتن ، فعليكم بالأرض ، وليكن أحدكم حلس بيته ؛ فإنه لا ينبجس لها أحدٌ إلاّ أَرْدَتْهُ**)) [2].

وحينما اعتزل سعد بن مالك وعبدُ الله بن عمر الفتنةَ قال علي : ((**للهِ دَرُّ منزلٍ نَزلَه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر ، واللهِ إنْ كان ذنباً إنه لصغير مغفور ، ولئن كان حسناً إنه لعظيم مشكور**)) [3].

تذكّر أخي المسلم ما في الصحيحين [4] من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث أن النبي قال : ((**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في**

1() أخرجه : نعيم بن حماد في الفتن (489) .
2() أخرجه : نعيم بن حماد في الفتن (490) .
3() أخرجه : الطبراني في الكبير (319) .
4() البخاري 1/14 (31) ، ومسلم 8/169 (2888) (14) .

النار ، قلت : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتـول ، قال : **إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**)) .

وفي الصحيحين [1] أيضاً من حديث الأحنف بن قيس قال : ذهبتُ لأنصر هذا الرجل – يعني : علي بن أبي طالب – فلقيني أبو بكرة فقال : أين تريد ؟ قلت : أنصر هذا الرجل ، قال : ارجع فإني سمعت رسول الله يقول : ((**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** ...)) ثم ذكر بقية الحديث . وفي رواية أخرى للبخاري [2] عن الحسن قال : خرجتُ بسلاحي ليالي الفتنة فاستقبلني أبو بكرة فقال : أين تريد ؟ قلت : أريد نصرة ابن عم رسول الله فقال : قال رسول الله : ((**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**)) ، وفي رواية لمسلم [3] : ((**إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على جرف جهنم ، فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلا جميعاً**)) وهذا كله إذا كان القتل غير مأذون به شرعاً ، وقد قصّ الله علينا في كتابه العظيم خبر أول حادثة قتل وقعت في تاريخ البشرية حين قتل أحد ابني آدم أخاه قتله ظلماً وبغياً وحسداً فقال تعالى : **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** [المائدة : 27] ومع إن هذا القاتل قد هدّد أخاه بالقتل وأكد ذلك بقوله : ((**لأَقْتُلَنَّكَ**)) فقد تلطّف معه لعله أنْ يرجع عن عزمه ، وأخبره أيضاً أنه لن يمد يده ليقتله مهما هدده ، بل إنه حتى ولو باشر عملية القتل فسيكف يده أيضاً خوفاً من الله رب العالمين ، فقال له : **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**

[المائدة : 28] ثم أخذ ينصح أخاه ويعظه لعله يرجع عما

---

[1] سبق ذكره .

[2] 9/64 (7083) .

[3] 8/170 (2888) (16) .

هَمَّ به ، ومع كل هذا التلطف والنصح فلم ينفع ذلك أخاه ، ولم يثنه عن عزمه على قتل أخيه . وكذلك الظلم والحقد والبغي والحسد كل ذلك يعمي القلب عن الحق ، ويصم الأذن عن سماع الحق ، فلا يزال القلب مُصِرّاً على المعصية والإثم والموبقة ، والشيطان يدفعه إلى تلك المعصية ، فالشيطان هو العدو الأول للإنسان فيدفعه إلى ذلك دفعاً ، ويهوِّن عليه الأمر حتى إذا وقع فيها تخلى عنه الشيطان وتبرأ منه ، ثم بعد ذلك تَظْلَمُّ عليه الدنيا وتضيق عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ ، قال تعالى : **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** [المائدة : 30] ثم بعد ذلك ماذا حصل للقاتل ؟ ندم على ذلك الفعل الشنيع ، ولكن هل ينفع الندم على قتله ؟ لا ينفع الندم ؛ لأنَّ أخاه قد مات ، ولن يرجع إلى الحياة الفانية ، ثم ماذا يصنع هذا القاتل بعد جريمته تحيّر وبقي يحمله مدة طويلة . أولُ قتيل لا يدري ماذا يصنع به هل يحمله ويضعه في الماء أم هل يضعه فوق الجبال ، أشكل عليه الأمرُ ، فالأمر معضلة ومشكلة ، لأنَّه أول حادثة قتل تحدث على الأرض . فأظهر القاتل ندمه على سوء فعلته وصنيعه فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يدفن أخاه حتى أراه الله كيف يدفن الغراب غراباً . وقد بيّن لنا النَّبيُّ أنه ما من نفس تُقتل ظلماً منذ ذلك التاريخ وحتى آخر يوم من الدنيا إلا كان لهذا القاتل كفلٌ منها ؛ لأنه أول من سن القتل ، وهذا شأن كل مَن سَنّ ضلالة أو دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وقد بيّن الله سبحانه في كتابه بعد أنْ ذكر قصة ابني آدم أنَّ جريمة القتل عظيمة ، وأنَّ من قتل نفساً بغير نفس
أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً يقول الله تعالى : **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** [المائدة : 32] وهذا الحكم وإنْ كان ظاهره خاصاً

ببني إسرائيل إلا إنه عام فينا وفيهم فقد سأل سليمانُ بنُ علي الحسنَ عن هذه الآية فقال : ((قلت للحسن : هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل فقال : والذي لا إله غيره كما كانت لبني إسرائيل وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا)) [1].

أخي المسلم الكريم ، إنَّ الله تبارك وتعالى قد نهى عن قتل النفس بغير الحق في كتابه الكريم ، وأثنى عز وجل على الذين يجتنبون هذه الجريمة العظيمة ، وقد توعّد سبحانه من يفعلها باللعنة والغضب والعذاب العظيم والخلود في نار جهنم فقال تعالى : **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** [النساء : 93] .

فاستحضر أخي المسلم هذا التهديد العظيم وهذا الوعيد الكبير فأي تهديد بعد هذا وأي وعيد بعد هذا الوعيد كل ذلك ؛ لأنَّ المسلم له مكانة عند الله تعالى . ودم المسلم هو أغلى الدماء التي يجب أنْ تُصانَ ، وأن يُغضَب لإراقتها .

أخي المسلم الكريم قد بيّن الله سبحانه وتعالى حرمة المسلم ومكانته عند الله تعالى فقد صحّ عن النَّبيِّ أنه قال : ((**والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**)) [2] وفي رواية أخرى : ((**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلمٍ**)) [3].

وفي حديث آخر : ((**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق**))[4] فهذه مكانة المسلم عند الله تعالى فتدبّر أيها القاتل ماذا تصنع بفعلتك ؟ !!

1() أخرجه : الطبري في " تفسيره " (9211) ، وما تقدم من كلام عن هذه القصة اقتباس من محاضرة للشيخ ممدوح الحربي بعنوان القاتل والمقتول ، جزاه الله خير الجزاء .
2() سبق تخريجه .
3() أخرجه : الترمذي (1395) بهذا اللفظ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .
4() أخرجه : ابن ماجه (2619) من حديث البراء بن عازب .

فلزوال الدنيا كلها أهون من قتل رجل مؤمن بغير حق ، زوال الدنيا بأموالها ومزارعها ومصارفها ومصانعها وتجاراتها وبناياتها ودولها وأحلافها ، وكل ما فيها أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق . بل المسلم له حرمة حتى بعد موته فقد نهى النَّبيُّ عن كسر عظم الميت ، وأخبر أنَّ عظم الميت إذا كُسر فكأنما كُسر وهو حيٌّ ، فقد صحّ عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله : ((**إنَّ كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره حياً**)) [1].

أخي المسلم الكريم ، إنَّ النَّبيَّ قد حذّر أمته أشد التحذير من هذه الجريمة فقال : ((**سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفر**))[2] وقال : ((**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**))[3] وبيّن أنَّ هذه الجريمة من السبع الموبقات المهلكات فقد قال : ((**اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**))[4] وقال أيضاً : ((**أكبر الكبائر : الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور**)) [5]. وروى النسائي [6] من حديث أبي أيوب الأنصاري أنَّ النَّبيَّ قال : ((**من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويجتنب الكبائر كان له الجنة**)) فسألوه عن الكبائر

1() أخرجه : بهذا اللفظ ابن الجارود (551) وأخرجه : أبو داود (3207) ، وابن ماجه (1616) بلفظ : ((**كسر عظم الميت ككسره حياً**)) .

2() أخرجه : البخاري 1/19 (48) ، ومسلم 1/57 (64) (116) من حديث عبد الله بن مسعود .

3() سبق تخريجه .

4() أخرجه : البخاري 4/12 (2766) ، ومسلم 1/64 (89) من حديث أبي هريرة .

5() أخرجه : البخاري 3/225 (2654) ، ومسلم 1/64 (87) (143) من حديث أبي بكرة .

6() 7/88 وفي الكبرى ، له (3472) .

فقـال : ((**الإشراك بـالله وقتـل النفـس المسـلمة والفرار يوم الزحف**)) .

وروي عـن النَّـبيِّ أنـه قـال : ((**مـن قتـل مؤمنـاً فاغتبط بقتله** (يعني سره ذلك وفرح بـه) **لـن يقبـل الله منه صرفاً ولا عدلاً**)) [1].

وقاتل المسلم مهمـا فـرَّ فـي هـذه الـدنيا ، فـإنَّه لـن يفلت يوم القيامة ، ولن يتركه المقتول يوم القيامة ، فقـد صحَّ عن النَّـبيِّ أنـه قـال : ((**يجيء الرجـل آخـذاً بيـد الرجل فيقول : يا رب هذا قتلني فيقول له : لما قتلته ؟ فيقول : لتكون العزة لك فيقول : فإنهـا لي ، ويجيء الرجل آخذاً بيـد الرجـل فيقـول : يـا رب ، إنَّ هـذا قتلنـي فيقـول اللـه : لمـا قتلتـه ؟ فيقول : لتكون العزة لفلان فيقول الله تعـالى : إنهـا ليـس لفلان فيبـوء بـإثمه**))))[2] وفـي روايـة للنسائي[3] أنَّ النَّبيَّ قـال : ((**يجيء المقتـول بقـاتله يوم القيامة فيقـول : سَـلْ هـذا فيـم قتلنـي** ؟)) فهذا هـو الحسـاب وهـو أشـد أنـواع الحسـاب فهـو ليـس تحقيقاً دنيوياً يسـتطيع بـه بعضـهم أن يتخلـص ببعـض مـن يكون للخائنين ظهيراً .

فاحذر أخي المسلم كل الحذر أن تقـع فـي دم حـرام فتقتل أحـداً مـن أجـل فلان أو مُلْـكِ فلان أو إمـارة فلان ، فإنهم لن ينفعوك شيئاً عند الله ، ولن يـدفعوا عنـك شـيئاً من عذاب الله . وروى النسائي [4] من حديث ابـن عبـاس رضي الله عنهما قال : سـمعت نـبيكم يقـول : ((**يجيء المقتـول متعلقـاً بالقاتـل تشـخب أوداجـه دمـاً فيقول : أي رب سَلْ هذا فيم قتلني ؟**)) وعند ابن ماجه [5] والترمـذي[6] عـن ابـن عبـاس أنَّ النَّـبيَّ قـال :

---

[1] () سبق تخريجه .

[2] () أخرجه : النسائي 7/84 وفي الكبرى ، له (3460) من حديث عبد الله بن مسعود .

[3] () 7/84 وفي الكبرى ، له (3461) من حديث جندب .

[4] () 7/85 و 8/63 ، وفي الكبرى ، له (3462) و(7072) .

[5] () سنن ابن ماجه (2621) .

[6] () الجامع الكبير (3029) .

((**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده ، وأوداجه تشخب دماً فيقول : يا رب سَلْ هذا فيم قتلني ؟ حتى يدنيه من العرش**)) .

إذن احذر أخي المسلم أنْ يكون لك أحدٌ بالمرصاد يوم القيامة فإنَّ من تقتله في الدنيا لن يتركك في الآخرة ، بل هو لك بالمرصاد . والله سبحانه وتعالى لما جعل للنفس المسلمة هذه الحصانة الكبيرة ؛ ذلك لأنَّ نفس المسلم لها مكانة وحرمة ، فليس أحد يملكها أو يملك إزهاقها ، بل إنَّ ذلك ممنوع غاية المنع ، ولا يجوز إلا بإذن من الله تبارك وتعالى وإذن رسوله .

بل حتى نفسك التي بين جنبيك لا تملكها أنت ولا يحل لك إزهاقها ؛ ولهذا جاء الوعيد الشديد فيمن يقتل نفسه متعمداً ؛ ففي الصحيحين [1] من حديث أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ قال : ((**من تَردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يَتردّى فيها خالداً مُخلَّداً فيها أبداً ، ومن تَحسَّى سُماً فقتل نفسه فَسُمُّه في يده يتحسَّاهُ في نار جهنم خالداً مُخلّداً فيها أبداً ، ومن قتلَ نفسَه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مُخلّداً فيها أبداً**)) . وروى البخاري [2] من حديث أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ قال : ((**والذي يخنق نفسه يخنقها في النار ، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار ، والذي يقتحم يقتحم في النار**)) . وفي الصحيحين [3] من حديث ثابت بن الضحاك أن رسول الله : ((**من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال ، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذِّبَ به يوم القيامة ، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله ، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله**)) . ولفظ جامع الترمذي [4] :

1() أخرجه : البخاري 7/181 (5778) ، ومسلم 1/72 (109) .

2() 2/121 (1365) .

3() أخرجه : البخاري 8/18 (6047) ، ومسلم 1/73 (110) (176) .

4() الجامع الكبير (1527) .

((**ليس على المرء نذر فيما لا يملك ، ولاَعِنُ المؤمن كقاتله ، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله ، ومن قتل نفسه بشيء عُذِّبَ بما قتل به نفسه يوم القيامة**)) .

فتنبه أخي المسلم الكريم دائماً بأنَّ مسألة قتل النفس بغير حق من الأمور الخطيرة التي تضيّق على من ارتكبها الدنيا بما فيها ، فمجرد أنْ يقع المسلم في هذه الجريمة تضيق عليه الأرض وتضيق عليه نفسه لذا قال النَّبيُّ : ((**لن يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يُصِبْ نفساً حراماً**))[1] وفي رواية لأبي داود [2] عن أبي الدرداء أنَّ النَّبيَّ قال : ((**لا يزال المؤمن مُعنقاً** (والمعنق هو طويل العنق الذي له سوابق بالخير) **ما لم يُصِبْ دماً حراماً** .....)) وروى البخاري [3] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي أنه قال : ((**إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حلة**)) .

ونبينا الأكرم قد بيّن لنا فضل من خرج من الدنيا ولم يتلطخ بدم المسلم فقال : ((**من لقي الله لا يشرك به شيئاً لم يتند بدم حرام دخل الجنة**))[4] . فهنيئاً لمن خرج من الدنيا ولم يتلطخ بدم مسلم ، وهنيئاً لمن خرج من الدنيا ولم يحمل مسلماً على ظهره يأتي به يوم القيامة ، هنيئاً لمن خرج من الدنيا وقد سلم المسلمون من لسانه ويده ، هنيئاً لمن فارق الدنيا ولم يقترف جريمة يسفك بها دم مسلم .

تذكّر أخي المسلم وصية النَّبيِّ لأصحابه : ((**إنَّ أول ما ينتن من الإنسان بطنه ، فمن استطاع أنْ لا يأكل إلا طيباً فليفعل ، ومن استطاع أنْ لا يحال**

---

[1] أخرجه : البخاري 9/2 (6862) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

[2] سنن أبي داود (4270) .

[3] 9/2 (6863) .

[4] أخرجه : ابن ماجه (2618) من حديث عقبة بن عامر .

بينه وبين الجنة بملء كف من دم أهراقه فليفعل)) [1] .

فاحذر أخي المسلم كل الحذر أنْ يحول بينك وبين الجنة ملء كف من دم تهريقه بغير حقه .

واعلم أخي المسلم الكريم أنَّ النَّبيَّ كان يحذِّر أمته من الأمور التي تدعو الإنسان إلى أنْ يقتل مسلماً أو أنْ يجرح مسلماً ، ومن ذلك أنَّ النَّبيَّ نهى أنْ يمر المسلم ، ومعه السهام في أسواق المسلمين ، أو في مساجد المسلمين ، أو في أي مكان من أماكن تجمعهم ، إلا أن يكون النصل مغطىً حتى لا يجرح به مسلماً ، وهو لا يشعر . فقد صحَّ عنه أنَّه قال : ((**إذا مَرَّ أحدكم بمسجدنا أو في سوقنا ، ومعه نبل فليمسك عن نصالها بكفه ، لا يعقر مسلماً**))() ومن تلك الأمور التي حذّر منها النبي أنَّه نهى عن الإشارة إلى المسلم بأي شيء يحتمل أنْ يقتله أو يجرحه ، نهى عن ذلك وأخبر أنّ من فعل ذلك فأنَّه ربما نال اللعنة والوعيد الشديد ؛ لذلك قال النَّبيُّ : ((**لا يُشِرْ أحدُكم على أخيه بالسلاح ؛ فإنَّه لا يدري لعل الشيطان ينزع يده فيقع في حفرة من النار**)) [2] . وصحّ أنَّه قال : ((**من أشار إلى أخيه بحديدة فإنَّ الملائكة تلعنه ، وإنْ كان أخاه لأبيه وأمه**))[3] . وصحّ أنَّه نهى أنْ يُتعاطى السيف مسلولاً [4]، وكل هذا الاحتراز لشدة حرمة المسلم على المسلم ؛ فنهى النبي عن ذلك خشية أنْ يكون هناك خطأ فيقع السيف ويجرحك أو يؤذيك أو يقع على أخيك ، وإذا كان ذلك في الأسلحة القديمة فهو في الأسلحة الحديثة أشد تأكيداً ؛ لأنَّ الضرر أعظم ، والخطر أكبر ، والعلة تدور مع الحكم وجوداً وعدماً . ومن الأمور التي يستفاد منها خطورة أمر دماء

---

[1] () سبق تخريجه .

() أخرجه : البخاري 1/122 (452) ، ومسلم 8/33 (2615) (124) من حديث أبي موسى الأشعري .

[2] () أخرجه : البخاري 9/62 (7072) ، ومسلم 8/34 (2617) من حديث أبي هريرة .

[3] () أخرجه : مسلم 8/34 (2616) من حديث أبي هريرة .

[4] () أخرجه : أبو داود (2588) ، والترمذي (2163) من حديث جابر .

المسلمين ، هو أنَّ النَّبيَّ حـذّر مـن الـدخول فـي الفتـن ، ومـا ذلـك إلا لأن لا يقـع المسـلم فـي دمـاء المسـلمين ؛ لخطورة الأمر وشدته ، فالفتن مظنة لأن يكون هناك قاتل ومقتول ، فالفتن إذا سعرت وابتدأت صـعب علـى النـاس إطفاؤها . فنبينا صلوات الله وسلامه عليـه قـد حـذّر أمتـه من الفتن ، وبيّن أنَّهـا سـتحدث وسـتكون فـي هـذه الأمـة فقد صحّ أنه قال : ((**ستكون فتن القاعد فيها خيــر مـن القـائم ، والقـائم فيهـا خيـر مـن الماشـي ، والماشي فيها خير من الساعي من تَشـرّف لهـا تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجئاً أو معاذاً فليعـذ به**))[1] هكـذا بيّـن لنـا النَّـبيُّ أنَّ المخلَـص مـن الفتـن أنْ يهرب منها المسلم قدر الاستطاعة .

فاحذر أخي المسلم من الوقوع في الفتن ، فالفتنةُ قد تُريكَ الحقَ باطلاً والباطلَ حقاً . وقد تعميك وتصمك وأنـت لا تشـعر ، وقـد أخـبر النَّـبيُّ أنَّ الفتـن سـتقع فـي أمتـه فقـــــــــــــــــــــــــــــــــال : ((**إذا وضع السيف في أمتي لم يرتفع عنهـا إلـى يوم القيامة**))[2] وأخبر النَّبيُّ أنه سـتأتي فتـن فـي آخـر الزمان يكثر فيها القتـل وتكـثر فيهـا الفتـن حـتى أنـه مـن شدة الفتن يمر الرجل على القبر ويتمرّغ عليه ويقول : يا ليتني صاحب هـذا القـبر ، مـن شـدة مـا يـرى مـن الفتـن والأمـور العظيمـة ؛ ففـي الصـحيحين [3] مـن حـديث أبـي هريرة أنَّ النَّبيَّ قال : ((**لا تقوم السـاعة حـتى يمـر الرجـل بـالقبر فيقـول : يـا ليتنـي مكـانه**)) وقـال أيضـاً : ((**والذي نفسـي بيـده ليـأتينَّ علـى النـاس زمـانٌ لا يـدري القاتـلُ فـي أيِّ شـيءٍ قَتَـلَ ، ولا يدري المقتولُ على أيِّ شيءٍ قُتِـلَ**))[4] وفـي روايـة لمسلم : ((**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حـتى يأتي على الناس يومٌ ، لا يدري القاتل فيم قَتَــلَ**

1() أخرجه : البخاري 4/241 (3601) ، ومسلم 8/168 (2886) (10) من حديث أبي هريرة .

2() أخرجه : الترمذي (2202) من حديث ثوبان .

3() البخاري 9/73 (5117) ، ومسلم 8/182 (157) (53) .

4() أخرجه : مسلم 8/183 (2908) (55) من حديث أبي هريرة .

ولا المقتول فيم قُتِلَ ، فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال **: الهرج القاتل والمقتول في النار**)) [1]. ونبينا حينما يذكر ذلك إنما يذكره ليحذرنا من أن نكون من أولئك أو من أن نشارك في سفك تلك الدماء أو أن نتلطخ فيها ، أو أن نلقى الله بها ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي قال : ((**يَتقاربُ الزمانُ ويُقبَضُ العلمُ ويُلقَى الشحُّ ويَكثرُ الهرجُ ،** فقيل : وما الهرجُ ؟ قال **: القتل**))[2] وقال أيضاً : ((**إنَّ بين يدي الساعة لهرجاً**)) ، قال : قلت : يا رسول الله ما الهرج ؟ قال : ((**القتل**)) ، فقال بعض المسلمين : يا رسول الله ، إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا فقال رسول الله : ((**ليس بقتل المشركين ، ولكن يقتل بعضكم بعضاً ، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته**)) فقال بعض القوم : يا رسول الله ، ومعنا عقولنا ذلك اليوم فقال رسول الله : ((**لا ، تنزع عقول أكثر ذلك الزمان ويخلف له هباء من الناس لا عقول لهم**)) [3].

فعلى المسلم أن يبتعد عن الفتن كل الابتعاد ؛ لأنَّ النَّبيَّ أرشد أمته إذا أدركوا الفتن أو أحسوا بالفتن أنْ يبتعدوا عنها كل الابتعاد ، وأنْ يهربوا منها كل الهرب ؛ لأنَّ الفرار من الفتنة من الدين ؛ لذا بوّب البخاري في صحيحه : باب من الدين الفرار من الفتن [4].

أخي المسلم الكريم ، إنَّ المسلم ينبغي له أنْ يحذر من الدخول في الفتن ، وأنْ يستعيذ بالله تعالى منها -فقد كان عمار بن ياسر يستعيذ من الفتن – وأنْ يحذر أنْ يشارك فيها بقول أو فعل أو رأي أو بغير ذلك ؛ فإنَّ الفتن إذا صارت لم يسلم منها أحد إلا مَن رَحِمَ اللهُ .

1() أخرجه : مسلم 8/183 (2908) (56) من حديث أبي هريرة .

2() أخرجه : البخاري 8/17 (6037) ، ومسلم 8/59 (157) (11) من حديث أبي هريرة .

3() أخرجه : ابن ماجه (3959) من حديث أبي موسى الأشعري ، وهو حديث صحيح .

4() صحيح البخاري 1/11 .

ويا للأسف على بعض الغلاة من المنتسبين إلى العلم في هذا العصر ، فقد ظنوا أن مجابهة مخالفيهم بالطعن والقذف دليل على وفرة العلم وقوة الفهم حتى صار ((من عاداتهم الخبيثة : أنهم كلما ناظروا أحداً من الأفاضل في مسألة من المسائل توجهوا إلى جرحه بأفعاله الذاتية وبحثوا عن أعماله العرضية وخلطوا آلاف الكذبات بصدق واحد ، وفتحوا لسان الطعن عليه بحيث يتعجب منه كل ساجد ، وغرضهم منه إسكات مخاصمهم بالسب والشتم ، والنجاة من تعقب مقابلهم بالتعدي ، والظلم بجعل المناظرة مشاتمة والمباحثة مخاصمة)) [1] وحسبنا في الحكم على هذا المسلك قوله : ((**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**))[2]. بل ثبت عنه أنه قال : ((**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**)) [3].

اللسان نعمة :

وعليك أخي المسلم أنْ تتذكر دائماً أن اللسان نعمة من الله فعليك أنْ تستعمل هذه النعمة في طاعة الله ، وإياك أنْ تستعملها في معصية الله تعالى ، وعليك أنْ تُقيّد لسانك بالشرع ولا تطلق له العنان ؛ إذ إنَّ مَن أرخى العنان سلك به الشيطان في كل مكان ، وما أشد حزننا لما نرى كثيراً من الناس تساهلوا في حفظ ألسنتهم ، فنجد بعضهم وظّفَ لسانه في سبّ الناس وشتمهم ، ومنهم من استعمله في الحرام من الغناء والكذب والغيبة والنميمة والمراء وشهادة الزور .

---

[1] عن الرفع والتكميل انظر آداب الجرح فيه : 15 - 47 .

[2] أخرجه : مسلم 8/10 (2564) (32) ، وأبو داود (4882) من حديث أبي هريرة .

[3] أخرجه : الترمذي (1977) من حديث ابن مسعود وقال : ((حسن غريب)) وفي المعنى أحاديث كثيرة .

فاحذر كل الحذر من حصائد اللسان ، وقد قال النَّبيُّ لمعاذ بن جبل حينما أوصاه : ((**كُفَّ عنك هـذا**)) وأشـار النبي إلى لسانه فقال معاذ : وهل نُحاسَبُ على ما نقول ؟ فقال له النبي : ((**ويحك ، وهل يَكُبُّ الناسَ علـى وجوههم في النار إلا حصائدُ ألسـنتهم**))() وإنَّ مـن حصـائد الألسـن الأقـوال المحرمـة ، وهـي أنـواع كـثيرة ، منها : ما يوصل إلى الكفر ، ومنها دون ذلك ، ومن حصائد اللسـان : الكـذب والغيبـة والنميمـة والفحـش والسـب والقذف .

أخي المسلم إن اللسان خطره عظيـم ولا نجـاة مـن خطره إلا بالصمت ولهذا قال النَّبيُّ : ((**من صـمت نجـا**))[1] وقـال أيضـاً : ((**مـن كـان يـؤمن بـالله واليـوم الآخـــــــــــــــر ، فليقـــــــــــــــل خيـراً أو ليصـمت**))[2] وقـال أيضـاً ((**أمسـك عليـك لسانك ، وليسعكَ بيتُكَ ، وابْكِ على خطيئتِكَ**)) [3].

أخي المسلم فكّر دائمـاً أنَّ المـوت بيـن يـديك وأنـك مسؤول عـن كـل كلمـة ، وأنَّ أنفاسـك رأس مالـك ، وأنَّ لسانك شبكة تقدر أنْ تقتنص بها الحور العين .

ونبينـا الأكـرم سـيدنا محمـد يعلمنـا خطـورة إطلاق العنان للسان في الكلام فـي المسـلمين ، وربمـا يتحـدث الإنسان بكلمة يظنها بسيطة تهلكه ترديه في النار ، قال النَّبيُّ : ((**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتـبين فيهـا ، يـزل بهـا فـي النـار أبعـد ممـا بيـن المشـرق والمغرب**))[4]. وقال أيضـاً : ((**لَعْنُ المـؤمنِ كقتلـه ، ومن رَمَى مؤمناً بكفر فهو كقتله**))() ويقـول أيضـاً : ((**أَيُّما رجـلٍ قـال لأخيـه : يـا كـافرُ فقـد بـاء بهـا**

() أخرجه : أحمد 5/231 ، والترمذي (2616) ، وابن ماجه (3973) من حديث معاذ بن جبل .

1() أخرجه : أحمد 2/159 و177 ، والترمذي (2501) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

2() أخرجه : البخاري 8/13 (6019) و8/39 (6135) و8/125 (6476) ، ومسلم 5/137 – 138 (48) (14) من حديث أبي شريح العدوي .

3() أخرجه : أحمد 4/148 و5/259 ، والترمذي (2406) من حديث عقبة بن عامر .

4() أخرجه : مسلم 8/223 (2988) (49) من حديث أبي هريرة .

() أخرجه : البخاري 8/32 (6105) من حديث ثابت بن الضحاك .

أحـدهما))[1] هكـذا بيّـن لنـا الرسـول الأعظـم خطـورة الخـوض فـي هـذا ، فعلـى المسـلم أنْ يصـون لسـانه فلا يقول إلا خيراً فيغنم أو يسكت عن الشر فيسلم ، لذا قال النَّـبيُّ : ((**إنـكَ لا تـزالُ سـالماً مـا سـكتَّ ، فـإذا تكلمتَ كُتب لكَ أو عليكَ**))[2] فكـن رقيبـاً علـى نفسـك أخـي المسـلم وراقـب لسـانك جيـداً فكـل كلام تنطقـه تُحاسَب عليه إن كان خيراً فخير ، وإنْ كان شراً فشر .

الهمز واللمز :

احذر أخي المسلم من الهمز واللمز ، فالهمز واللمـز مرضان سيئان من أمراض القلوب ، وهمـا سـبب لانتشـار الحقد والضغائن ، وهما سبب من أسباب تفكك المجتمع ؛ فاجعـل فـي خلـدك أنَّ المسـلمين كالجسـد الواحـد إذا اشـتكى منـه عضـوٌ تـداعى لـه سـائر الجسـد بالسـهر والحمـى ، وقـال تعـالى : **وَلا تَلْمِـزُوا أَنْفُسَـكُمْ وَلا تَنَـابَزُوا بِالأَلْقَـابِ بِئْـسَ الاسْـمُ الْفُسُـوقُ بَعْـدَ الأِيمَـانِ** [الحجـرات : 11] لـذا فلا يجـوز لمسـلم أنْ يستهزأ بأخيه المسلم بلسانه أو بيـده ، فـإذا صـنع فكأنمـا صنع ذلك بنفسه ؛ لأنَّ المؤمنين جميعاً نفـس واحـدة ، فلا يجوز لمسلم أنْ يسـمي أخـاه أو يصـفه أو يلقبـه أو يكنيـه باسم يكرهه ، بل يسميه بأحب الأسماء إليه .

إن المرء ليزداد حزنه حينما يرى بعض المسلمين غرّهم الشـيطانُ ، فـأطلقوا ألسـنتهم بـالهمز والسـخرية والنـبز لعباد الله .

ألا يعلم الهمّاز الذي يحارب المؤمنين بلسانه ما حصـل للمنافقين في زمن نبينا حين خرج بعضهم في غزوة تبوك فقال رجل منهم : ما رأينا مثل قرائنا هـؤلاء أرغـب بطونـاً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عنـد اللقـاء – فـأنزل اللـه تعـالى فيهـم قرآنـاً يتلـى إلـى يـوم القيامـة : **وَلَئِـنْ سَـأَلْتَهُمْ**

---

[1] أخرجه : البخاري 8/32 (6104) من حديث عبد الله بن عمر .

[2] أخرجه : الطبراني في المعجم الكبير 20/73 (137) من حديث عبد الرحمان بن غنم ، قال الهيثمي 10/300 : ((رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات)) .

لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ [التوبة : 65] فهل ترضى لنفسك يا من تقع في أعراض المؤمنين أنْ تصل إلى تلك الحال التي وصل إليها المنافقون .

وَلْنسألْ الهماز اللماز الذي يقع في أعراض الناس ما الذي جَرّأكَ على هذا العمل المشين أو الفعلة القبيحة – أَكَونُ أولئك الذين تقع في أعراضهم ضعفاء ؟ فإذا كانوا كذلك أفلا تخشى من ذي القوة والجبروت أن يأخذك بذنبك في ساعة من ليل أو نهار ؟!! ألا تخشى دعوة المظلوم التي ليس بينها وبين الله حجاب ؟

أخي يا من تقع في أعراض المسلمين ألم يهذبك كتاب الله حينما تقرؤه ؟ ألم تتأثر بالقرآن ؟ ، إني أعيذك بالله تعالى أنْ تكون ممن قال فيهم نبينا محمد : ((**إنَّ أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**)) . رواه مسلم [1] ومعنى الحديث : لا يجاوز القرآن تراقيهم ليصل إلى قلوبهم : فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم .

اتق اللهَ أخي المسلم حينما تقع في أعراض المؤمنين وتذكّر دائماً قوله تعالى : **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** [الأحزاب : 58] .

وعليك أخي المسلم أنْ تدرك عاقبة إطلاق العنان للسان بالهمز واللمز ورسول الله يقول : ((**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**)) [2] وفي حديث آخر : ((**إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً ، يهوي في جهنم**)) [3] وفي حديث آخر : ((**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، ما كان يظن أنْ تبلغ ما بلغت ، يكتب الله**

1() 2/204 (822) (275) من حديث ابن مسعود .

2() أخرجه : البخاري 8/125 (6477) ، ومسلم 8/223 (2988) (49) من حديث أبي هريرة .

3() أخرجه : البخاري 8/125 (6478) من حديث أبي هريرة .

بهـــــا ســـــــخطه إلـــــــى يـــــــوم القيامة)) [1].

والذي ينظر فـي تربيـة النَّـبيِّ لصـحابته يـدرك مـدى تحـذير هـذا النـبي الكريـم لأمتـه مـن خطـر الوقـوع فـي أعراض المسلمين ، فانظر كيف أنَّ النَّبيَّ لما أخبر معاذاً بالأعمال التي يدخل بها الجنة ، ويباعـد مـن النـار قـال لـه النَّبيُّ : ((**ألا أخبرك بملاك ذلـك كلـه** ؟ فقـال معـاذ : بلى يا رسول الله ، فأخذ رسول الله بلسانه فقـال : **كُـفَّ عليك هذا** . فقال معاذ : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم فقال : **ثَكلتْكَ أمُّكَ وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حَصائدُ ألسنتهم**)) [2].

فاتق الله أخـي المسـلم ولا تقـل إلا خيـراً أو اسـكت عن الشر ، واحذر أنْ تقـع فـي أعـراض المـؤمنين الغاليـة فتوقع في قلب المؤمن خفقة وربما في عينـه دمعـة ، بـل ربما توقع فيه من الأذى وتجعل عنده زفـرات يرتجـف بهـا بين يدي ربه في جوف الليل في سجوده وعبادته وخلـواته لهجاً يطلب من الله كشفها ، وربما تكون أنت نائم ، ومـن وقعـت فـي عرضـه يـدعو عليـك مـاداً يـديه إلـى مغيـث المظلومين وكاسر الظالمين .

أذكّـرك بقصـة أروى بنـت أويـس الـتي زعمـتْ أن الصحابي الجليل سعيد بن زيد قد غصب شيئاً مـن أرضـها وضمّه إلى أرضه ، ، فقال سعيد : أنا كنتُ آخذ من أرضـها شيئاً بعد الذي سمعتُهُ من رسول الله ! قال مروان : ومـا سمعت من رسول الله ؟ قال : سمعتُ رسول الله يقـول : ((**مـن ظلـم مـن الأرض شـيئاً طـوّقه مـن سـبع أرضين**)) [3].

وإذا كنتَ أخي المسلم لا تَأبهُ بدعاء المظلوم عليـك ، ففكّر دائماً أنَّ لسـانك شـهيد عليـك يـوم القيامـة ، فمـاذا

1() أخرجه : مالك في " الموطأ " (2818) ، والحاكم 1/46 من حديث بلال بن الحارث المزني .

2() سبق تخريجه .

3() أخرجه : البخاري 4/130 (3198) ، ومسلم 5/58 (1610) (138) من حديث سعيد بن زيد .

سيكون قولك ، وماذا ستفعل حين ذاك وأنت بين يدي الله قال تعالى : **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** [النور : 24-25] .

وإياك إياك أخي المسلم أنْ تغترّ بأصدقاء السوء معك في الطعن بأعراض المسلمين فهذه الصداقة ستكون عداوة يوم القيامة وحسرة وندامة قال تعالى : **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً** [الفرقان : 27 - 28] .

فاتق الله أيها المسلم ألاَّ تأمن مكر الله وأنت تقع في ظلم المسلمين ، ألاَّ تأمن مكر الله وأنت تؤذي المسلمين في أعراضهم تمعّن في قول الله تعالى: **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** [الأعراف : 97-99] .

وأنت حينما تقرأ القرآن قف عند قوله تعالى **:** **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ** [النحل : 45-46] .

وعند قوله تعالى : **وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** **[** النمل :50-52] .

إذنْ فالإسلام حرّم السخرية بالهمز واللمز ؛ لأنَّ ذلك يقود إلى التباغض والتشاحن والمنازعات ، وكل ذلك يهدد الروابط الاجتماعية بالتفكك والانهيار ، وهذه الاحترازات كلها من أجل أنْ يظل المجتمع مترابطاً متماسكاً قوياً ، فسخرية المسلم من أخيه المسلم محرمةٌ شرعاً ،

وكذلك يحرم عليه أنْ يعيبه بقول أو فعل ، وهـذه الحرمـة مسـتمرة سـواء كـان أخـوك المسـلم غائبـاً أو حاضـراً ، وكذلك يحرم عليه أن ينبزه بلقـب يكرهـه ؛ لأنَّ كـل ذلـك من أسباب البغض .

والذي يسخر من أخيه المسلم يحمل في قلبـه شـيئاً من كبر ، وقد روى ابن مسعود عن النَّبيِّ أنه قـال : ((**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر**)) قال رجلٌ إنَّ الرجل يحـب أنْ يكـون ثـوبه حسـناً ونعلـه حسنةً ، قال : ((**إنَّ الله جميل يحب الجمال ، الكـبر بطر الحق وغمط الناس**)) () وسـبب ذلـك أنَّ السّـاخرَ دَفَعَـــــــــهُ كـــــــــبرُهُ إلـــــــــى ذلك ؛ فظن أنَّ في نفسه صفةً زائدة على المسـخور منـه فيغتر بذلك ، وذلك مثل من يغتر بنسبه أو ماله أو بعـافيته أو بجماله أو بمكـانته أو بمنصـبه ، وغيـر ذلـك مـن الأمـور التي تحمل ضعيف النفس والإيمان على العجب والغرور . فاحذر أخي المسلم أنْ تسخر من أخيك المسلم ، واحــذر أنْ يكون من تسخر به خيراً عند الله منـك ، فقـد روى زر بن حبيش عن ابـن مسـعود أنَّـه كـان يجتنـي سـواكاً مـن الأراك ، وكان دقيقَ الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله : ((**مم تضحكون** ؟)) قالوا : يا نبي الله ، من دقة ساقيه ، فقال : ((**والذي نفسـي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد**))() .

إفشاء السر :

إفشاء السر وهي آفة منهيٌّ عنها لما فيها من الإيذاء والتهاون بحقوق الآخرين وقد قال : ((**إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة**))(1) . وقال : ((**المجالس بالأمانة**))(2)

() أخرجه : مسلم 1/65 (91) (147) .

() أخرجه : أحمد 1/420 وإسناده قويٌّ .

1() أخرجه : أحمد /324 ، وأبو داود (4868) ، والترمذي (1959) من حديث جابر بن عبد الله ، وحسنه الألباني .

2() أخرجه : أحمد 3/342 ، وأبو داود (4869) من حديث جابر بن عبد الله .

شهادة الزور :

احذر أخي المسلم من شهادة الزور فهي كبيرة من الكبائر وهي تلحق أعظم الأذى بأخيك المسلم وقد حذّر النبي من ذلك أشد التحذير فقال : ((**ألا أنبئُكم بأكبر الكبائر ؟**)) ثلاثاً : قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ((**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين**)) ، وجلس وكان متكئاً فقال : ((**ألا وقول الزور**)) . قال : فما زالَ يكررُها حتى قلنا لَيتَهُ سَكَتَ .[1] وقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بقوله تعالى : **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً** [الفرقان : 72] .

القذف :

واحذر أخي المسلم من قذف المسلمين والمسلمات بالزنى والفاحشة ، فالقذف من الكبائر وصاحبه ملعون وله إثم عظيم قال تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** [النور : 23] . وقد حذر النبي من ذلك أشد التحذير فقال : ((**من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج**)) [2].

وقال النبي : ((**اجتنبوا السبع الموبقات**)) قالوا : يا رسول الله وما هن قال : ((**الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**))[3] وإن هذه الكبيرة والموبقة قد تساهل فيها كثير من الناس ، لأنهم صاروا لا يقيمون وزناً لما يقولون ، ولا ينظرون في جرم صنعهم بأعراض الناس ، ولو كان لهؤلاء القذفة مزيد علم بالسنة النبوية ،

---

[1] () أخرجه : البخاري 3/225 (2654) ، ومسلم 1/64 (87) (143) من حديث أبي بكرة الثقفي .

[2] () أخرجه : أحمد 2/70 ، وأبو داود (3597) ، والحاكم 2/27 من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

[3] () أخرجه : البخاري 4/12 (2766) ، ومسلم 1/64 (89) (145) من حديث أبي هريرة .

ومعرفة بالأحاديث التي حذرنا فيها رسول الله من ذرب اللسان لما وقعوا في ذلك ، مثل قوله : ((**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**)) [1].

وقد رتب على القاذف عذاب دنيوي فقد قال الله تعالى : **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** [النور : 4] .

أخي المسلم ، لا تَنْسَ دائماً أن ملاك الخير حفظ اللسان ، وهو سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة .

وقد قال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال له النبي : ((**ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يَكُبُّ الناسَ على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**)) [2].

وصحّ أنه قال : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**)) [3] .

الجدال والمراء :

وابتعد أخي المسلم من الجدال والمراء مع أخيك المسلم ؛ فإنَّ كثرة المراء والجدال مدعاة للخصومة ، ومجلبة للبغضاء والضغينة ، والجدال يقسي القلب وهو سبب للقطيعة . والمسلم إذا كان كثير المجادلة كان مذموماً عند الناس ؛ لذا قال بعض السلف : ((إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته)) .

وإياك والفجور في المخاصمة فقد جعل النَّبيُّ الفجور في المخاصمة من علامات النفاق فقال : ((**أربع من كن فيه كان منافقاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ،**

---

[1] سبق تخريجه .

[2] سبق تخريجه .

[3] أخرجه : البخاري 8/125 (6475) ، ومسلم 1/49 (47) (74) من حديث أبي هريرة .

إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر))[1] .

والمجادلة تكون عن قصد إقحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل ، وكثيراً ما يكون السبب في المجادلة هو إظهار العلم والفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه . وكلا السببين من الأمور المهلكة ؛ إذ إن المسلم له حرمة ، ومن حرمته أنْ لا تنتقصه لذا حذرنا النبي أشد التحذير من احتقار المسلم فقال : ((**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**))[2] فإذا كان ذلك كذلك فتنقيص المسلم أشد من احتقاره ، نسأل الله العافية .

وقد رغّبَ الإسلام أشد الترغيب في ترك المراء والجدال فقال : ((**من ترك الكذب وهو باطل بُنيَ له بيت في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بُنيَ له في وسطها ، ومن حسّن خُلُقه بُنيَ له في أعلاها**))[3].

الخصام :

واحذر أخي المسلم من مخاصمة أخيك المسلم ؛ فإن المخاصمة من أشد الذنوب ، ومن أقبح الأفعال لذا قال النبي : ((**إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ**))[4].

والخصومة سبب لكثير من الذنوب والأفعال القبيحة ،

ومدعاة للطعن في أخيك المسلم ، والخصومة تمحق

1() أخرجه : البخاري 1/15 (34) ، ومسلم 1/56 (58) (106) من حديث عبد الله بن عمرو .

2() سبق تخريجه .

() أخرجه : ابن ماجه (51) ، والترمذي (1993) من حديث أنس بن مالك ، وقال الترمذي : ((حسن)) .

() أخرجه : البخاري 3/171 (2457) ، ومسلم 8/57 (2668) (5) من حديث عائشة رضي الله عنها .

الدين وهي مبدأ كل شر فينبغي أن لا يُفتحَ باب الخصــومة إلا للضرورة .

الفحش والتفحش :

واحذر أخي المسلم من أن تكون فاحشاً متفحشاً مـع المسلمين ؛ فإن الفحش والسب وبـذاءة اللسـان مـذموم جداً ، وقد قال النبي : ((**إياكم والفحش ؛ فـإن اللـه لا يحب الفحش ولا التفحش**))() وقال أيضاً : ((**ليس المـؤمن بالطعـان ولا اللعـان ولا الفـاحش ولا البذيء**)) [1].

ومن أقبح صور الفحش والتفحش اللعـن سـواء كـان هذا اللعن لحيوان أو جماد أو إنسان وقد ذكرنا قول النبي في أن المؤمن ليس بلعان ، وقال النـبي : ((**لا تلاعنـوا بلعنة الله ولا بغضـبه ولا بالنـار**))() وقـد بيّـن النـبي خطورة مـن ابتُلِـيَ بهـذا الإثـم العظيـم وأنهـم محرومـون فقال : ((**إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شـهداء يوم القيامة**))() .

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ، وإطلاق هذا الوصف غير جائز إلا على مَن اتصـف بصـفة تبعده من الله ؛ لذلك فإن فيه خطراً عظيماً ؛ ولأنه تقوّلٌ على الله تعالى ، قال : **وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّـهِ مَـا لا تَعْلَمُونَ** [الأعراف : 33] .

() أخرجه : الطيالسي (2272) ، وأحمد 2/191 و195 من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

[1] () سبق تخريجه .

() أخرجه : أحمد 5/15 ، والبخاري في " الأدب المفرد " (320) ، وأبو داود (4906) ، والترمذي (1976) وقال الترمذي : ((حسن صحيح)) .

() أخرجه : مسلم 8/24 (2598) (85) و(86) من حديث أبي الدرداء .

ولعل كثيراً مما يحصل من اللعن والفحش والتفحش الذي يقع فيه كثير من الناس سببه الإيذاء بالآخرين ، أو الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل المجون .

وقال النَّبيُّ : ((**سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر**)) [1] وقال النَّبيُّ : ((**لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسق ، ولا يرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه ، إنْ لم يكن صاحبه كذلك**)) [2].

السخرية والاستهزاء :

واحذر أخي المسلم من السخرية والاستهزاء بالآخرين قال تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ** [الحجرات : 11] .

قال النَّبيُّ : ((**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**))[3] .

والسخرية هي الاستهانة والتحقير مع نبز المقابل بالعيوب والنقائص . والسخرية لا تكون باللسان فقط ، بل تشمل الإشارة والإيماء .

وما دمتُ قد تكلمت فيما يتعلق بحرمة المسلم على المسلم صار لزاماً عليَّ أن أتكلم عن بعض الأمور الواجب تركها للتخلص من الوقوع في المسلمين ، فمن ذلك :

- الغضب :

فالغضب في غير حق مذموم جداً ، وهو مفتاح شر للدخول في كثير من الآثام فعلى المسلم أن يروّض نفسه على الابتعاد عن الغضب قال تعالى : **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** [الفتح : 26] فالله سبحانه وتعالى ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب الباطل ،

---

[1] () أخرجه : البخاري 1/19 (48) ، ومسلم 1/57 (64) (116) من حديث عبد الله بن مسعود .

[2] () أخرجه : أحمد 5/181 ، والبخاري في الأدب المفرد (432) من حديث أبي ذر الغفاري .

[3] () أخرجه : مسلم 8/10 (2564) (32) من حديث أبي هريرة .

ومدح الله المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة . والسنة النبوية جاءت مؤكدة لهذا المعنى فقد تظافرت الأحاديث على ذم الغضب ، فقد روى البخاري [1] من حديث أبي هريرة أنَّ رجلاً قال للنَّبيِّ أوصني قال : ((**لا تغضب**)) فردد مراراً قال : ((**لا تغضب**)) . وروى مسلم [2] من حديث عبد الله بن مسعود عن النَّبيِّ أنَّه قال لهم : ((**ما تعدون الصُّرَعَةَ فيكم ؟**)) قال : قلنا : الذي لا يصرعه الرجال ، قال : ((**ليس بذلك ، ولكنَّه الذي يملك نفسه عند الغضب**)) .

ومما يُعينُ على التخلص من الغضب لمن ابتلي به ، أنَّ يعود إلى الله ، وأنْ يلتجىء إليه دائماً بالعبادة والدعاء وقراءة القرآن ، ومن أدرك فضيلة الحلم أبعده ذلك عن كثير من معرّات النفوس . ومن وقع في الغضب فعليه أنْ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقد روى مسلم [3] من حديث سليمان بن صرد ، قال : اسْتَبَّ رجلان عند النَّبيِّ فجعل أحدهما تحمرّ عيناه وتنتفخ أوداجه ، فقال رسول الله : ((**إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**)) فقال الرجل : وهل ترى بي من جنون ؟ .

- الظلم ظلمات :

احذر أخي المسلم أنْ تظلم أخاك المسلم ؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة [4] كما قال النَّبيُّ وأهل الظلم يوم القيامة هم أهل الخسارة والندامة قال تعالى : **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ** [غافر : 18] ، وقال تعالى : **وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** [الحج : 71] ، وقال النَّبيُّ : ((**لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**))[5] .

---

[1] صحيح البخاري 8/ 35 (6116) .
[2] صحيح مسلم 8/ 30 (2608) (106) .
[3] صحيح مسلم 8/30 (2610) (109) .
[4] أخرجه : مسلم 8/18 (2578) (56) من حديث جابر .
[5] أخرجه : مسلم 8/18 (2582) (60) من حديث أبي هريرة .

والظالم مهما تمادى في ظلمه على الآخرين فإنَّه لن يفلت من عذاب الله فعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله : ((**إنَّ الله ليملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته**)) ثم قرأ : **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** [هود : 102]))[1] فاحذر أخي المسلم أنْ تظلم أحداً من المسلمين في المال أو في الدم أو في العرض ، والظلم أجناس كثيرة ، فمن الظلم أنْ تأخذ ما لأخيك المسلم بغير حق ، ومن الظلم أن تبيع على بيع أخيك المسلم ، ومن الظلم أن تسوم على سوم أخيك المسلم ؛ لتضاعف عليه السعر ، ومن الظلم أن تستأجر على إجارة أخيك المسلم .

ومما يجب علينا أنْ نداوم النظر فيه دائماً ما رواه أبو أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي ، أنَّ رسول الله قال : ((**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار ، وحرّم الله عليه الجنة**)) فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : ((**وإن كان قضيباً من أراك**))[2] .

وتفكّر دائماً بقوله : ((**اتقوا دعوة المظلوم فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب**))[3] والذي ينظر إلى الزمان يجد ذلك قد وقع كثيراً فقد وصحَّ [4] من حديث عروة بن الزبير أنَّ أروى بنت أويس ادّعتْ على سعيد بن زيد أنَّه أخذ شيئاً من أرضها . فخاصمتْهُ إلى مروان بن الحكم فقال سعيد : أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله ! قال : وما سمعتَ من رسول الله ؟ قال : سمعتُ رسول الله يقول : ((**من أخذ شبراً من الأرض طوقه الله إلى سبع أرضين**)) فقال له مروان : لا أسألك بينة بعد هذا . فقال : اللهم إن

---

[1] أخرجه : البخاري 6/93 (4686) ، ومسلم 8 /19 (2583) (61) .
[2] أخرجه : مسلم 1/85 (137) (218) .
[3] أخرجه : أحمد 1/233 ، وأبو داود (1584) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
[4] سبق تخريجه .

كانت كاذبة فعمِّ بصرها واقتلها في أرضها . قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها . ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت .

- سوء الظن :

وإنَّ من أكذب الكذب سوء الظن بأخيك المسلم ؛ فسوء الظن ينافي حسن الظن ، وحسن الظن من الإيمان ، ونبينا محمد يقول : ((**إياكم والظنَّ ؛ فإنَّ الظن أكذب الحديث**))() قال القرطبي في تفسيره : ((وقد أجمع العلماء على أنَّه لا يجوز سوء الظن بأهل الفضل والإيمان)) .

- التجسس :

واعلم أخي المسلم الكريم أنَّ للمسلمين حرياتهم وكراماتهم ، ولا يجوز أنْ تنتهك حرياتهم وكراماتهم إلا بإذن من الشارع ، وقد أحاط الإسلام حريات المؤمنين بأسيجة منيعة ، ومن ذلك حرمة التجسس قال تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** [الحجرات : 12] ، والتجسس هو الحركة العملية التالية للظن السيء ، فإذا ظن المسلم بالمسلم سوءاً تاقت نفسه أنْ يجس عليه . والمسلم مأمور بحسن الظن بأخيه المسلم ، فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، وفي الصحيحين [1] من حديث أبي سعيد الخدري يقول : بعث علي ابن أبي طالب إلى رسول الله من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها ، قال : فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، قال : فبلغ ذلك النَّبيَّ فقال : ((**ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء**

() أخرجه : البخاري 8/185 (6724) من حديث أبي هريرة .

[1] صحيح البخاري 5/207 (4351) ، وصحيح مسلم 3/110 (1064) (144) .

يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء)) قال : فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال : يا رسول الله ، اتقِ اللهَ ، قال : ((**ويلكَ أَوَلستُ أحق أهل الأرض أنْ يتقي الله**)) قال : ثم ولَّى الرجلُ ، قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ، قال : ((**لا ، لعله أن يكون يصلي**)) فقال خالد : وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال رسول الله : ((**إني لم أومر أنْ أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم**)) قال : ثم نظر إليه وهو مقفٍ فقال : ((**إنَّه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** - وأظنه قال - **لئن أدركتُهم لأقتلنّهم قتل ثمود**)) .

فانظر أخي المسلم الكريم كيف أنَّ الإسلام حرم إساءة الظن بالمسلم ، أو التجسس عليه أو اغتيابه ، وأنَّ هذه الأمور ترتبط أحياناً ببعضها البعض ، فالسيئة تسوق إلى سيئة أكبر ؛ فسوء الظن هو الذي يحمل الإنسان على التجسس والاغتياب ؛ لذلك جاء النهي عن هذه الأشياء بآية واحدة قال تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** [الحجرات : 12]، إذنْ فلا يجوز لمسلم أنْ يسيء الظن بأخيه المسلم أو يتجسس عليه ليتحقق من ظنه ، أو يغتابه بهذه الظنون السيئة ، فديننا الحنيف حمى حرمات الأشخاص وكراماتهم وحرياتهم ، وعلّم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم ؛ لأنَّ سوء الظن يسوق إلى الإثم وإلى العواقب الوخيمة .

ومن الاحترازات الوقائية التي حث عليها ديننا الحنيف لتجنب أمراض القلوب السابقة أنَّه أمر بالستر على المسلم وأمره بالاستتار ، فأمرنا ديننا الحنيف بالاستتار على النفس فقد قال النَّبيُّ : ((**كل أمتي معافى إلا**

المجاهرين ، وإنَّ من المجاهرة أنْ يعمـل الرجـل بالليـل عملاً ، ثـم يصـبح وقـد سـتره اللـه عليـه فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقـد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنــه))[1]

وحث الإسلام أنْ يستر المسلم على أخيه المسلم فقد قال النَّبيُّ : ((**المسلم أخـو المسـلم لا يظلمـه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كـان اللـه فـي حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنـه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن سـتر مسـلماً ستره الله يوم القيامة))**[2] .

إخلاف الوعد :

أخـي المسـلم الكريـم ، لا تخلـف الوعـد مـع أخيـك المسـلم ؛ فـإنَّ صـدق الوعـد خصـلةٌ كريمـةٌ مـن خصـال الإيمان وخلقٌ عظيمٌ من أخلاق الإسلام ، عز وجوده ونـدر في هذه الأيام . وإخلاف الوعـد صـفةٌ قبيحـةٌ مـن صـفات المنافقين ، وخُلُق سيءٌ مـن أخلاق الكـذابينَ ، وقـد مـدح اللـه بصـدق الوعـد المـؤمنين المتقيـن الصـادقين فقـال تعالى: **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِـاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْـنَ السَّـبِيلِ وَالسَّـائِلِينَ وَفِـي الرِّقَـابِ وَأَقَـامَ الصَّـلاةَ وَآتَـى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُـونَ بِعَهْـدِهِمْ إِذَا عَاهَـدُوا** [البقـرة : 177] ، فالوفاء بالعهد صفة من صفات المؤمنين .

حق الحياة :

---

[1] أخرجه : البخاري 8/24 (6069) ، ومسلم 8/224 (2990) (52) من حديث أبي هريرة .

[2] أخرجه : البخاري 3/168 (2442) ، ومسلم 8/18(2580) (58) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

واعلم أخي المسلم الكريـم ، أنَّ اللـه حـرم الاعتـداء على حق الحياة – الـتي هـي حـق لكـل إنسـان فـي كافـة الشرائع السماوية – وحـرم الاعتـداء علـى سـلامة الحيـاة سواء كان الاعتداء خطئاً أو عمداً ، إلا ما كان بحـق ، قـال تعـالى : **وَلا تَقْتُلُـوا النَّفْـسَ الَّتِـي حَـرَّمَ اللَّـهُ إِلَّا بِالْحَقّ** [الأنعام : 151].

ثـم اعلـم أخـي المسـلم الكريـم ، أنَّ الإنسـان أهـم وأشرف خلق الله على وجـه الأرض قاطبـة ، وقـد جعـل الله له مكانة كبيرة ؛ ولـذلك اسـتخلف اللـه الإنسـان فـي عمـارة الأرض ورعايتهـا ، بمـا وهبـه فيهـا مـن طاقـات وقدرات عقلية ونفسية وعلمية تجعلـه يقـوم بـواجب هـذا الاسـتخلاف ؛ لـذا فـإنَّ اللـه لمـا خلـق آدم أمـر الملائكـة بالسجود له . فمكانة الإنسان في هذه الحياة هي السـبب في أنْ يحاط بسياج منيع ؛ حتى لا يتعـدى أحـدٌ علـى حـق الحياة إلا بحق مشروع فيه برهان من اللـه . إذن فحفـظ النفس ووقايتها ضرورة من ضرورات الحياة ، وقد حـرص الإسلام على صيانتها ورعايتها . والإسلام قد طبّق الأحكام المترتبة على قتل النفس المسلمة من أجل صيانة النفس المسلمة من القتل ؛ إذ تواردت الآيات وتلاحقت الأحـاديث على عظم هذه الجريمة ، وطُبِّقَـتْ أحكـام القصـاص فـي عهد النَّبيِّ وفي عهد الخلفاء الراشدين ، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : إنَّ غلاماً قُتِلَ غيلة [1] فقـال عمـر : ((لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم))[2] وروى المغيرة بن حكيم عن أبيه ، قال : ((إنَّ أربعةً قَتلوا صبياً فقال عمر : ((واللـه لـو أنَّ أهـل صـنعاء اشـتركوا فـي قتلـه لقتلتهـم أجمعين))[3] .

واعلـم أنَّ ديننـا الحنيـف لـم يكتـفِ بسـنِّ قـوانين القصـاص والحـدود والكفـارات والـديات مـن أجـل حفـظ النفس ، بل إنه قرر تدابير للوقاية من جريمة القتـل ؛ لأنَّ الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم الأشياء التي توصل إليه ، ومن

[1] الغيلة : القتل سراً .

[2] أخرجه : البخاري 9/10(6896) .

[3] المصدر السابق .

تلك التدابير للوقاية من الجرائم عامة وجريمة القتل خاصة : تقوية الوازع الديني عند المسلمين ، وتعظيم شعائر الله ، والتخويف من معصية الله ، ثم بعد ذلك بناء العلاقات الاجتماعية على المحبة والمناصحة والمناصرة بالحق ، وتأكيد النهي عن أسباب الخلافات والفرقة وإصلاح ذات البين بين المسلمين المتخاصمين . فالذي يقرأ أحكام الدين الإسلامي يجد أنَّ الإسلام قد أحاط حفظ النفس المسلمة بثلاث حصانات متينة الأولى: التهذيب النفسي الذي يشمل كافة العبادات ، وهي تمثل الجانب الإيماني في حياة المسلم . والثانية : تكوين رأي عام فاضل ، وهو يتمثل بجانب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم . والثالثة : العقاب ، وهو ما يتمثل بالحدود والقصاص والكفارات والديات .

وليكن في علمك أخي المسلم الكريم أنَّ جريمة القتل من أبشع الجرائم ؛ لأنها اعتداء على قيم الإنسانية ؛ وذلك من خلال عدوانيتها على حقوق الآخرين وسفك دمائهم ، والقضاء على حياتهم ، ولبشاعة هذه الجريمة وشناعتها وفظاعتها وشدة عنفها ، فقد تناولتها التشريعات بعقوبات صارمة تصل إلى القتل ؛ إذ اتفقت الشرائع السماوية على تحريم هذه الجريمة ، وتقرير أقصى العقوبات الرادعة في حق مرتكبها ؛ من أجل أنْ يعيش الناس في أمن واستقرار ، وَلِعِظَمِ جريمة القتل جاء ترتيبها الثاني بعد الشرك بالله فقد صحَّ عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم** [النساء : 93] قال : قال رجل : يا رسول الله ، أيُّ الذنب أكبر عند الله ؟ قال : ((**أنْ تدعو لله نداً وهو خلقك**)) . قال : ثم أيُّ ؟ قال : ((**ثم أنْ تقتلَ ولدك خشية أنْ يطعم معك**)) . قال : ثم أيُّ ؟ قال : ((**ثم أنْ تزاني حليلة جارك**)) . فأنزل الله تصديقها: **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا**

يَزْنُـونَ وَمَـنْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ يَلْـقَ أَثَامـاً [الفرقـان : 68]().

قال القرطبي عند تفسيره هـذه الآيـة : ((دلّـتْ هـذه الآية على أنَّه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغيـر الحق ، ثم الزنا))() .

وَلِعِظَمِ هذه الجريمة جريمة قتل النفس البريئة قرنها اللـه بالـذنب الـذي لا يُغفَر ، وهو الشرك فقد روى أبو الدرداء عـن النَّـبيِّ أنـه قال : ((**كل ذنب عسى أنْ يغفره الله إلا من مـات مشركاً أو من قَتلَ مؤمناً متعمداً**))().

وجاء من حديث معاوية قال : قـال رسـول اللـه : ((**كل ذنب عسـى أنْ يغفـره اللـه إلا الرجـل يَقتـلُ المؤمن متعمداً ، أو الرجل يموت كافراً**))() .

وهـذان الحـديثان مثـل قـوله تعـالى : **وَمَنْ يَقْتُـلْ مُؤْمِنـاً مُتَعَمِّـداً فَجَـزَاؤُهُ جَهَنَّـمُ** [النساء : 93] ، وهذه النصـوص تـدل علـى عـدم قبـول توبة القاتل ، ومن العلماء من حملها علـى ظاهرهـا كـابن عباس رضي الله عنهما كما سـبق ، أمـا أكـثر أهـل العلـم فقـد ذهبـوا إلـى أنَّ هـذه النصـوص مخصصـة بالعمومـات القاضية بأنَّ القتل مع التوبة النصوح من جملـة مـا يغفـره الله من ذلك قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء** [النساء : 48] ().

ذات البين :

عليك أخي المسلم بإصلاح ذات البين ، وإياك وإفساد ذات الـبين فقـد صـحّ مـن حـديث أبـي هريـرة أنَّ النَّـبيَّ قال : ((**إياكم وسوء ذات البين فإنَّهـا الحالقـة**))[1]

قال أبو عيسى الترمذي : ((هذا حديث صحيح غريـب مـن

() أخرجه : البخاري 9 / 2 (6861) ، ومسلم 1/63 (86) (142) .

() تفسير القرطبي 13 / 76 .

() أخرجه : أبو داود (4270) .

() أخرجه : النسائي 7 / 81 .

() راجع في ذلك : تفسير الطبري 7/122-123، وتفسير القرطبي 5/245 ، وتفسير ابن كثير : 493-494 ، وفتح الباري 8 /627 .

1() أخرجه : الترمذي (2508) .

هذا الوجه ، ومعنى قوله : وسوء ذات البين إنما يعني العداوة والبغضاء ، وقوله : الحالقة يقول إنها تحلق الدين)) .

وروى الترمذي[1] أيضاً من حديث الزبير بن العوام أنَّ النَّبيَّ قال : ((**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسدُ والبغضاءُ ، والبغضاء هي الحالقة لا أقول : تحلق الشعر ، ولكنْ تحلق الدين ، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم أفشوا السلام بينكم**)) .

واعلم أخي المسلم الكريم أنَّ ديننا الحنيف حث على إصلاح ذات البين حفاظاً على المجتمع ، وحفاظاً على أمن الناس من الخلافات التي تفكك المجتمع ، قال تعالى : **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** [الأنفال : 1] ، وقال تعالى : **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** [الحجرات : 9] ، وقال تعالى : **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** [النساء : 114].

وقد حث النَّبيُّ على إصلاح ذات البين فقد صحّ من حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله : ((**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**)) قالوا : بلى قال : ((**صلاح ذات البين ؛ فإنَّ فساد ذات البين هي الحالقة**))[2] قال أبو عيسى الترمذي : ((هذا حديث صحيح ، ويُروى عن النَّبيِّ أنه قال : ((**هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**)) .

---

[1] () الجامع الكبير (2510) وأخرجه أيضاً أحمد 1/167 .

[2] () أخرجه : أحمد 6/444 ، والبخاري في " الأدب المفرد " (391) ، وأبو داود (4919) ، والترمذي (2509) .

بل إنَّ ديننا الحنيف أباح الكذب من أجـل إصـلاح ذات البين ، فقد روى البخاري ومسلم [1] من حديث كلثوم بنـت عقبة رضي الله عنها عن النَّبيِّ يقول : ((**ليس الكـذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً**)) .

وما كـل ذلـك الفضـل لإصـلاح ذات الـبين إلا لأهميـة إصلاح ذات البين ؛ إذ ظهرت أهمية الصلح في حقن دمـاء المسـلمين فـي وقـائع كـثيرة ، فإصـلاح ذات الـبين مـن الـدعائم المهمـة للحفـاظ علـى المجتمـع الإسـلامي مـن التفكك ، فالإسلام بعقائده وعباداته ومعاملاته وآدابه يؤدي إلى بناء مجتمع خيّر فاضل متماسـك بروابـط أخويـة تمنـع من خلالها عوامل الفساد والانحلال ، ثـم تـذهب بعـد ذلـك روح الأنانية والبغضاء والتشاحن ، وإذا زال السوء فسيحل محله الحب والإخاء والمودة والموالاة والتكافل والتعاون ، فالمجتمع الإسلامي كله يسـعى لهـدف واحـد هـو مرضـاة الله سـبحانه وتعـالى بـالقول والعمـل ؛ وذلـك يـؤول إلـى سعادة البشر في الدنيا والآخرة .

أخي المسلم الكريم تدبر دائماً قول النَّبيِّ : ((**كونوا عباد الله أخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا** - ويشير إلى صدره ثلاث مـرات - **بحسـب امـرئ مـنَ الشر أنْ يحقر أخاه المسلم ، كـل المسـلم علـى المسلم حرام : دمه وعرضه وماله**)) [1].

فهذا الحديث الشريف فيه القواعد العِظام التي تكون جامعة لقلوب المسلمين على الألفة والمودة .

قـال مجاهـد فيمـا أخرجـه الطـبري فـي تفسـيره[2] ، وذكره ابن كثير في تفسيره [3] من طريق عبـدة بـن أبـي لبابة : ((إذا تراءى المتحابـان فـي اللـه فأخـذ بيـد صـاحبه

---

[1] صحيح البخاري 3/240 (2692) ، وصحيح مسلم 8/28 (2605) (101) .

1() أخرجه : مسلم 8/10 (2564) (32) من حديث أبي هريرة .

2() (12625) .

3() : 852 .

وضحك إليه ، تحاتت خطاياهما كما يتحـاتّ ورق الشـجر . قال عبدة : فقلتُ له : إنَّ هذا ليسير . قال : لا تقل ذلك ، فإن الله يقول : **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَـا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** [الأنفال : 63] .

والمسلم أخو المسلم يكف عنه الضـر ، ويجلـب إليـه النفع .

والتقـوى محلهـا القلـب ، وهـي الميـزان عنـد اللـه تعـــالى ، وإذا كـــــان أصـــــل التقـــــوى في القلوب فلا يطلع على حقيقتها إلا اللـه ، وحينئـذ فقـد يكون كـثير ممـن لـه صـورة حسـنة ، أو مـال أو جـاه ، أو رياسة في الـدنيا ، قلبـه خاليـاً مـن التقـوى ، ويكـون مـن ليس له شيءٌ من ذلك مملـوءاً مـن التقـوى فيكـون أكـبر عند الله .

قال محمد بن كعب القرظي فـي قـوله تعـالى : **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ** [الواقعة : 1 ـ 3] قال : تخفض رجالاً كانوا فـي الـدنيا مُرتفعين ، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين [1].

وجـاءت فـي خاتمـة هـذا الحـديث الشـريف القاعـدة العظيمة : ((**كل المسلم على المسلم حرام : دمـه وعرضه وماله**)) .

وهذه القاعدة كـان النَّـبيُّ يخطـب بهـا فـي المجـامع العظيمة ، فإنَّه خطب بهـا فـي حجـة الـوداع يـوم النحـر ، ويـوم عرفـة ، واليـوم الثـاني مـن أيـام التشـريق ، ولـولا أهميتها لما كررها في أكثر من موضع .

ختاماً : لقد تضمن هذا الحديث الشريف : أنَّ المسلم لا يحل له إيصال الأذى إلى أخيه المسلم بوجه من الوجوه من قول أو فعل بغير حـق ، وقـد قـال تعـالى : **وَالَّذِينَ يُـؤْذُونَ الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ بِغَيْـرِ مَـا اكْتَسَـبُوا فَقَـــدِ احْتَمَلُـــوا بُهْتَانـــاً وَإِثْمـــاً مُبِينـــاً** [الأحزاب : 58] .

---

[1] انظر : تفسير القرطبي 17/195 .

قال رجل لعمر بن عبد العزيز : اجعل كبير المسلمين عندك أباً ، وصغيرهم ابناً ، وأوسطهم أخاً ، فأيُّ أولئك تحب أنْ تسيء إليه .

ومن كلام يحيى بن معاذ الرازي : ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة : إنْ لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تُفرحه فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تذمه [1].

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

[1] () انظر : صفة الصفوة 4/61 ، وجامع العلوم والحكم نهاية الحديث (35) .